سلسلة ثقافة المقاومة - ١

المقاومة
بين النظرية والتطبيق



المقاومة
بين النظرية والتطبيق

محمود عيسى

بسم الله الرحمن الرحيــم



تقديــــــــم

عاشت اجيال الفلسطينيين طيلة مائة العام الماضية ، معتنقة المقاومة والمجابهة والمناهضة لمحتليها ومغتصبيها، وظل الوفاء لهذا النهج متواصلا يحملة جيلا بعد جيل ، وامتزج نمط حياة الفلسطينيين ومعيشتهم بهذة الحالة المستمرة من المجابهة ,حتى يهيء للبعض منهم انها لصيقــة لهم رغم ما يمكن ان يعتري قضيتهم من تحولات ، على ان طريق المقاومة هذا اصيب بتصدعات داخلية خطيرة وغير مسبوقة في سنوات اوسلو العجاف ، فلقد جرى المس بنهج المقاومة والحط من قيمتة ، وملاحقة معتنقيه والعمل على عزلهم بشتى السبل ، بعد ما كانت المقاومة لعقود مضت محور نشاط الفلسطينيين السياسي والاجتماعي والثقافي والحياتي ، ولم يكن يخطر في اتعس احلام الفلسطينيين ان تصبح مقاومتهم للاحتلال شانا منبوذا غير مرغوب فيه !؟ ولولا انتفاضة الأقصى الأخيرة التي أعادت بعضا من الاعتبار لطريق المقاومة ، لكنا في حالة متفاقمة من التشــوه المستمر على صعيد الضمير والروح ودرجة الالتزام الوطني .

وفي سنوات العقد الماضي ، الذي شهد تنكرا فاحشا للمقاومة ، وجدنا جبهة الحرب ضدها لـم تقتصر على بناها وهياكلها المادية ، بل مست منطلقاتهـا الفكرية والوجـدانية والضميرية والوطنية ، حيث اعتبرت بأنها مرحلة انصرمت وولت بكل استحقاقاتها وظلالها ، وقيل لنا بأن مرحلة البناء الوطني هي التي حلت مكانها ، حيث انتهت مرحلة التحرر الوطني !! واستبـدل البعض فكر وثقافة المقاومة اللذان غدا عتيقين ، بما قيل عنه بأنه فكر وثقافة الســلام والتنميـة والجندر وحقوق الأنسان والديمقراطية والتطبيع . وفي هذا الجو المعكاس ، لم تترك المقاومــة وشأنها بل كتبت كتابات عديدة للهجوم عليها والنيل منها وتسخيفـها ، بدل رعايتـها بالتوجيه والنصح والترشيد، كما هو الحال في التجربة اللبنانية، حيث اسندت المقاومة هناك ، بجبهة ثقافية رائعة ، في حين أن الموقف الفلسطيني في هذه الحقبة الأوسلوية ، ورغم البسالة وألــوان البطولة التي قدمها ، لم يسند حتى ولو بقصيدة شعر .

ومن اجل تعزيز جبهة المقاومة , واعادة الاعتبار لها ، واشاعة ثقافتها ، وتقليص ومحاصرة دور المثبطين ، ستعمل هذة السلسلة لتغطية ذلك ، فضلا عن تلبية وتطوير اتجاهات المقاومة وترشيدها ، وتسجيل اهم تجاربها وخبراتها وسيرة اصحابها ، خاصة للتجارب القريبة التي لا تزال تتفاعل ، والتي يجدر ان يتم تعميمها للفائدة والدرس والعبرة .

تبدأ هذة السلسلة واصدارها الأول ، للأخ المعتقل المجاهد محمود عيسى ، الذي يقبع في سجون الاحتلال منذ اكثر من ثماني سنوات ، ويقضي فترة محكوميته البالغة ثلاثة مؤبدات وعشرين عاما ، وقد كتب هذة الدراسة من زنزانته وهو في قسم العزل الانفرادي في سجن بئرالسبع . ومحمود هو من مواليد العام ١٩٦٥م. ومن قرية عناتا الملاصقة لمدينة القدس درس الشريعة في جامعة القدس/كلية الدعوة وأصول الدين ، وتخرج منها عشية انتفاضة ١٩٨٧ ، عمل مديرا لمكتب صحيفة "صوت الحق والحرية" في القدس ، اعتقل في حزيران ١٩٩٣ في كمين للقوات الخاصة الأسرائيلية على مدخل قريتة . ومن اشهر العمليات التي نفذها هو ومجموعتة : عملية خطف وقتل الجندي الإسرائيلي نسيم طوليدانو في كانون اول ١٩٩٢ والتي على إثرها أبعدت اسرائيل ما ينوف على اربعمائة اسلامي الى مرج الزهور في جنوب لبنان ، ومن عمليات مجموعتة قتل شرطيين اسرائيليين في الخضيرة ربيع ١٩٩٣، ومحاولة قتل كولونيل اسرائيلي في الرملة . عرف محود بشجاعتة وجرأته وجسارته وفوق ذلك رجاحة عقله.

ينتمي محمود عيسى وتجربته ، الى تجربة كتائب الشهيد عزالدين القسام التي تعتبر اضافة لتجربة الجهاد لاسلامي ، الحلقة الأحدث من حلقات مقاومة الفلسطينيين للغزوة الصهيونية في العقد المنصرم ، ويتميز عناصر هذة التجربة بنضجهم العقلي ، وبثقافتهم العالية فمعظمهم من خريجي الجامعات ، على غير ما كان علية الحال في التجربة التي سبقتهم ، ولم يكن انخراطهم في مقاومة الاحتلال مجرد عاطفة وطنية فحسب ، بل توجها اكيدا ومقصودا ومفكرا به، رغم ما كان يحف طريقهم من اخطار ومجازفات لم تكن لتعرض لمن سبقهم.

وتعتبر كتابة الأخ محمود - من موقعة وتجربتة وزنزانته - عن المقاومة ، نموذجا يعكس حيوية قراءة التجربة واعادة تقييمها ، التي نراها لا تزال تتفاعل في المناخ والفضاء اياه الذي جاب به المجاهد محمود، من هنا فإن لملاحظاته وتقييماته واقتراحاته وضوابطه ، مؤشر ضوء مهم في السعي الى تطوير اداء المقاومة والأرتقاء بها ، كي تصبح مقاومة موجهة قادرة على تحقيق انجازات مادية ملموسة يمكن مراكمتها والبناء عليها.

واننا اذ ننشر هذا الكتاب، لندعو الله ان يجزي الأخ المجاهد محمود عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأن ينفع به مسيرة الجهاد والمقاومة المباركة وندعو الله له ولإخوانه المعتقلين الحرية والإنعتاق من قيودهم وسجانيهم المجرمين.

"والله غالب على امره ولكن أكثر الناس لايعلمون".

حركة المقاومة الاسلامية

- حماس-

الإهداء

إلى صفوة الأمة ، الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

من قضى منهم نحبه ، ومن ينتظر وما بدلوا تبديلا

إلى روح الشهيد الصديق الذي أحببت ..

محي الدين الشريف الذي جاهد في سبيل الله حتى طالته

يد الخيانة والغدر فمضى شهيدا واستراح..

وترك علينا واجب أن نواصل خطاه ..

إلى رفاق الدرب وشركاء المحنة والقيد

أقدم هذه الصفحات..

الجهاد في رحاب القرآن

إن هذا الكتاب يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه .

الشيخ الشهيد عز الدين القسام .

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ النساء ٧٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا مال لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا من الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير ﴾ التوبة

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ التوبة

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ الحج

﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتقم منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ محمد ٤ . ٦ .

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ الصف ٦ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ المائدة ٣٥ .

﴿ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾ الأنفال ٥٧ .

﴿ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ﴾ التوبة ١٦ .

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ البقرة ٢١٦ .

﴿ وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ البقرة ٢٤٤ .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ آل عمران ١٤٢ .

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ آل عمران ١٤٦.

﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ النساء ٧٤ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ آل عمران ٢٠٠ .

﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ آل عمران ١٧٢ . ١٧٣ .

الجهاد في رحاب السنة

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من خير معاش الناس لهم ، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي القتل أو الموت فطاله ، أو رجل في غنيمة في شعفة من هذه الشعاف أو بطن من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير .

روى أحمد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاهدوا في سبيل الله فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى باب من أبواب الجنة ينجي الله تبارك وتعالى به من الهم والغم .

روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق .

روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها .

روى أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قاتل في سبيل فواق ناقته وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل في سبيله صادقا من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت ، لونها لون الزعفران ، وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خراج في سبيل الله ، فإن عليه طابع الشهداء .

روى النسائي عن سلمة بن نفيل الكندي ، كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد وقد وضعت الحرب أوزارها فأقبل صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال : كذبوا ، الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله ، الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وهو يوحي إلي : أني مقبوض غير ملبوث وأنتم تتبعوني ، أفلا يضرب بعضكم بعض ، وعقر دار المؤمنين الشام .

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .

روى البخاري عن أبي عيسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار .

مقدمـــــة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ، والصلاة والسلام على رسول الله البشير النذير ، وعلى آله ومن سار على دربه إلى يوم الدين ، وبعد ..

الصراع بين الخير والشر من سنن الله في الكون ، قديم قدم البشرية ، منذ أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وأبى إبليس واستكبر وقال : ﴿ اقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ منذ ذلك الحين والحق والباطل في صراع دائم وتدافع مستمر.

وسيرا في هذا التدافع فرض الله الجهاد على المسلمين وجعله من أشرف الأعمال وأحبها إلى الله سبحانه وتعال .

وكيف لا يكون كذلك ؟ وبه وحده لا بشيء سواه تحفظ عزة المسلمين وكرامتهم ، بالجهاد وحده تحفظ الأرض ويصان العرض ... بالجهاد وحده ينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم ، وينتشر العدل ويسود الأمان ... بالجهاد وحده تسموا الروح على زخرف الحياة الدنيا ، وتنطلق من مجال جاذبية الأرض وترتفع وتحلق في عالم السماء فلا غرو أن لا يعدل الجهاد في سبيل الله عمل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ، ثم قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله .
متفق عليه واللفظ لمسلم

والصراع الدائر اليوم على أرض فلسطين بين القلة المؤمنة وبين شذاذ الآفاق من الذين غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

الطاغوت هو حلقة من سلسلة طويلة من الجهاد الدائم المستمر الذي لن يخبوا أواره حتى يسترد الحق المسلوب ، حتى وإن خسرنا أمامهم معركة فلا بد أن يستمر الجهاد ولا بد أن تستمر المقاومة ، حتى تتحول حياة الأعداء إلى رعب دائم وخوف مستمر ، لا بد أن تنفجر الأرض . التي طمعوا بها . تحت أقدامهم أينما ساروا ، وتتحول (أرض الميعاد) التي حلموا بها إلى جحيم لا يطاق ، حتى ينفذ صبرهم ويردوا على أعقابهم ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ .

النساء ١٠٤

وإذا كان الغزاة المغتصبون يضحون ويموتون من أجل باطلهم فإنه لمن العار أن يتقاعس أصحاب الحق . وهم المؤمنون . عن الدفاع عن شرفهم ووطنهم وحريتهم بكل ما أوتوا من قوة ، إني لأعجب كيف يهنأ ابن حرة ويطيب له طعام أو شراب وحقه مسلوب ؟ كيف وهذا الوطن هو فلسطين ؟ ودرة المسلمين وقبلتهم الأولى ومسرى نبيهم صلى الله عليه وسلم .

إنه لا معنى للحياة بدون حرية ، ولا حرية بدون جهاد ، ولا كرامة بدون المقاومة ، إن مقارعة أعداء الله ومجاهدتهم لشرف ما بعده شرف ، وإنها لعزة ما بعدها عزة ، وإنها لنشوة لا يستشعرها إلا من ذاقها .

ورغم ما نشهده اليوم من تخاذل المسلمين ونكوصهم على أعقابهم وتركهم الجهاد في سبيل الله ، إلا أن فئة من هذه الأمة ما زالت قائمة ، وإن قل عددها وضعفت عدتها ، فإلى هذه الفئة التي تمردت على الخنوع والخضوع ، ونهضت رغم المحن والجراح ، وأبقت جذوة الجهاد مشتعلة أقدم هذه الرسالة المتواضعة تحت عنوان المقاومة بين النظرية والتطبيق وأنا من خلال هذه الدراسة أحاول المساعدة في تبصير المجاهدين بسبل المقاومة وضوابطها ومستلزماتها ، والمحاذير التي يجب أن لا تغفل أعينهم عنها ، مستفيدا من في ذلك من تجربة شخصية خضتها ، ومن تجارب كثير من المجاهدين سنحت لي الحياة في السجن الوقوف عليها ودراستها واستخلاص العبر منها .

وإني وقد عز عليّ ما رأيت من كثرة الاخفاقات ، وتكرار الوقوع في ذات الخطأ مرات ومرات ، والعمل على غير بصيرة . في كثير من الأحيان . كل ذلك دفعني لأن اكتب هذه الدراسة ، آملا أن تساعد في تحسين الأداء وتفادي الأخطاء.

ولقد اتبعت في هذه الدراسة أسلوبا تميز بالجمع بين النظرية والتطبيق ، فتحدثت أولا عن ركائز العمل الجهادي ومستلزماته بأسلوب علمي نظري ، ومن ثم أتبعت ذلك بسرد تجارب عملية في هذا المجال ، مقيّما هذه التجارب وعارضا إياها على ما تم تقديمه بين أيدي البحث من نظريات ، سائلا الله أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

اللهم انت عضدي ونصيري ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل

محمود عيسى
قسم العزل الانفرادي
سجن بئر السبع
٢٠ / ١٠ / ١٩٩٩م

الفصـل الأول

التنظيـــــــم

التنظيم في اللغة : يعني التأليف والترتيب والتنسيق.
ومن المجاز : نظم الكلام ، وهذا نظم حسن ، وانتظم كلامه وأمره ، وليس لأمره نظام إذا لم تستقم طريقته ، وتقول أمور عظام لو كان لها نظام . ١
والمنظوم من كل شيء ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد . ٢

ويمكننا تعريف التنظيم بأنه :

عبارة عن عملية بناء علاقة بين الأفراد والعمال والوسائل من أجل تحقيق أهداف محددة .

إلا أنه يجب أن يعلم أن بناء هذه العلاقة ليس بالأمر الهين خاصة إذا كنا نتحدث عن بناء تنظيمي قادر على تحقيق عدة مهمات ضمن ظروف متفاوتة .

وعليه فإنه عند إعداد هيكلية البناء التنظيمي توجب توخي أمرين أساسين :

الأول : ملاءمة هذا البناء للأهداف المراد تحقيقها ، مع إيجاد المرونة الكافية ، حيث يجب أن يتناسب هذا البناء مع حجم الأهداف ونوعها ، فبناء التنظيم العسكري يختلف عن بناء التنظيم السياسي ، وبناء التنظيم الاجتماعي أيضا يختلف ، وهكذا ، والأهداف الكبيرة بحاجة إلى جهود كثيرة .

ومن الواجب أن نوضح هنا أن التنظيمات التي تجمع بين أكثر من عمل في آن واحد كالعمل السياسي والاجتماعي والعسكري ، يتطلب إقامة بناء تنظيمي غاية في الدقة والمرونة :

- كي يتمكن من الموازنة فلا يطغى جانب على آخر ، إلا بشكل مخطط ومدروس.
- وكي يخدم كل جانب الآخر ويتناغم معه ، لا أن يتعارض .

- وكي تستغل الطاقات البشرية بالشكل المطلوب ، كل في مجاله .
- وكي نوزع الموارد بشكل سليم وصحيح .
- وأي خلل في التنسيق يعني خلل في الأداء .

الثاني : حصانة البناء نحو الأخطار ، إضافة إلى دقة البناء تشمل الحصانة أيضا أساليب وقائية من شأنها أن تفشل أي هجوم معاد يستهدف هدم البناء التنظيمي وتمزيقه أو حرفه عن أهدافه ، ويكون ذلك من خلال :

١ . إغلاق الثغرات التي تظهر أثناء العمل .

٢ . تجفيف المنابع التي يحصل الأعداء على المعلومات من خلالها ، وذلك ب :

أ . عدم حفظ المعلومات التنظيمية ورقيا أو إلكترونيا في أماكن يحتمل . ولو بنسبة ضئيلة. وصول الأعداء إليها ، وإن كان لا بد من حفظ معلومات معينة فيجب أن تكون مشفرة ولمدة قصيرة.

ب . اعتماد الشيفرات والرموز والحبر السري في المراسلات .

ج . عدم السماح لشخص . أيا كان موقعه التنظيمي . معرفة أكثر مما يلزم .

د . متابعة الوسائل والطرق التي تستخدمها مخابرات الأعداء مع المجاهدين المعتقلين لانتزاع المعلومات منهم ، وتعريف المجاهدين بهذه الوسائل بشكل دقيق ومستمر مع متابعة ما يستجد منها .

والتصدي لهذه الوسائل من خلال :

القيام بكل ما يلزم من أجل تعزيز العناصر الداعمة لصمود المجاهد في التحقيق ، وهذه العناصر هي :

- الإيمان لما يفرغه على أصحابه من صلابة وعزيمة وصبر .
- الثقة بالنفس أولا ، لأن الذي ينهزم أمام نفسه ينهزم أمام عدوه ، وبالأفراد
- الذين تربطهم به علاقة ، وبالتنظيم الذي ينتمي إليه ثانيا .
- تضامن الجماعة من شأنه رفع الروح المعنوية عند المجاهد وبالتالي تعزيز تفكيره بالصمود والثبات .

- المواقف المشرفة والأسوة الحسنة حتى يشعر المجاهد أنه ليس بأقل من الذين سبقوه في هذا الدرب واستطاعوا الصمود والصبر، وقد استخدم هذا الأسلوب في القرآن الكريم في تربية المؤمنين وتثبيتهم.

﴿ لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾.

﴿ لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾.

- تبصرة المجاهدين بأساليب المخابرات في انتزاع الاعترافات :
  1. الضغط الجسدي.
  2. الضغط النفسي.
  3. الترغيب والترهيب.
  4. الخداع والإيهام والحيل.
  5. أجهزة التنصت.
  6. العصافير : وهم العملاء الذين يتقمصون دور المناضلين الشرفاء، وقد تضعهم المخابرات في الزنازين، أو في غرف خاصة أو حتى أقسام، حتى يخيل إلى المعتقل أنه بين إخوانه السجناء، وقلَّ من لا يقع عند هؤلاء، وليس المجال هنا للحديث عن هذه الأساليب، وأنصح القارئ بمطالعة الدراسات التي تتحدث عن هذه المواضيع وسؤال أصحاب التجربة للاستفادة من تجاربهم.
  7. تعليم المجاهدين طرق تضليل المحققين، إما بالإدلاء بمعلومات خاطئة أو تعمد أن تمسك معلومات مكتوبة على ورق أو إلكترونيا عند التفتيش أو الاعتقال لهدف محدود ومدروس.

إن تضليل أجهزة استخبارات العدو، أمر بالغ الأهمية لا ينبغي للقيادة أن تغفل عنه، فالمعلومة الخاطئة في عالم الاستخبارات هي بمثابة الفيروس الذي يدخل برنامج الحاسوب ويفسده، لكن هذا الأسلوب غاية في الخطورة ويحتاج إلى ترتيب دقيق محكم، ولا يصح أن يستخدمه أي مجاهد دون تكليف رسمي.

وبقدر ما تبدو المعلومات التي أشرنا إليها سابقا بسيطة وواضحة وتعتبر من المعلومات من العمل التنظيمي بالضرورة ، بقدر ما نجد أن التساهل في تطبيق هذه البدهيات كثيرا ما وقع وجر الويلات .

ويكفي أن نشير إلى أن آخر ضربة قاصمة وجهت للحركة كانت نتيجة لضبط مجموعة من الرسائل والأوراق التنظيمية الهامة في حوزة أحد قادة الكتائب عند استشهاده ، ولم يكن ينقص هذا الشهيد رحمه الله المعرفة بالمحاذير السابقة ، لكنه التساهل والركون الذي يصاب به المرء عندما يشعر بلحظات من الطمأنينة ، ويخيل إليه وقتها أنه لن يقدر عليه أحد ، وماذا كانت النتيجة ؟

. عشرات المعتقلين ، منهم من حكم عليه بالمؤبد .
. كشف العديد من الخلايا .
. إهدار الكثير من الطاقات والأموال .
. خسارة كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة .

وكثيرا ما أتيت الحركة من قبل المخلصين من أبنائها ، إما نتيجة للتساهل والإهمال ، وإما نتيجة لمعرفة شخص أكثر مما يجب ، حتى إذا وقع في الأسر كانت القاصمة .

٣. منع الاختراقات باتخاذ إجراءات خاصة منها :

أ. جمع المعلومات عن الفرد وتحديد صلاحيته قبل تنظيمه ، وذلك بالتحري عنه دون علمه ، ويشمل التحري معرفة ماضيه وحاضره في الجوانب : الأخلاقيات ، علاقات تنظيمية ، وقناعات سياسية ، أحوال أهله ورفاقه ، المستوى العلمي والثقافي ، الوضع الاجتماعي .

ب. التدرج في عضوية التنظيم .

ج. تعريض المنتمي الجديد للاختبارات ، ومن بين ذلك :
- تكليفه بمهام وهمية وملاحظة تصرفاته وردود فعله .
- إيصال معلومات خاطئة. تبدو غاية في الأهمية. إليه ومتابعة ما يحدث بعدها .

د. المراقبة .

ونؤكد أن هذه الإجراءات يجب أن تتم بدقة وسرية وجدية ، مع مراعاة الآثار السلبية لكل خطوة ونتائجها العكسية ، فان أي خطوة من هذا القبيل إن لم تكن في الاتجاه الصحيح ، فإنه سيترتب عليها الكثير من الآثار السلبية ، وتبقى قاعدة أن لا يعرف العضو أكثر مما يحتاج سياجا يحفظ التنظيم ويصونه ، فالسرية والدقة هما الأساس في حفظ البناء التنظيمي ، ويصبح توخيهما ألزم كلما امتد التنظيم وتشعبت حلقاته ، وهما مطلوبان في مختلف مستويات البناء التنظيمي ومطلوب توخيهما من الجند تماما كما من القيادة .

مستويات البناء التنظيمي العسكري

المستوى الأول : القيادة العليا

تعتبر القيادة العليا بمثابة الرأس من الجسد بالنسبة للتنظيم ، كونها صاحبة القرار والماسكة بزمام الأمور ، وهذه الميزة تزيد من تبعات القيادة وتتطلب أن يكون رجالها على قدر المهام المناطة بهم ، إذ أن نتيجة قراراتهم تؤثر على مجمل التنظيم ، وحتى تتمكن القيادة من القيام بدورها على أتم وجه فإنه يلزم أن تكون :

أولا : في مأمن من ضربات العدو ، لذا يفضل أن تكون في خارج مسرح الصراع.

ثانيا : أن تضع لنفسها آلية عمل تتناسب ومخططها ، والطريقة المثلى لتحقيق ذلك تتمثل بتشكيل لجان وظيفية مختصة تضم مختصين متفرغين كل في مجاله ، ومن أهم هذه اللجان :

١ . لجنة تخطيط :

مهمتها رسم سياسة التنظيم ، وإعداد خطط العمل المناسبة ، وعرضها على القيادة ، وسنتحدث عن التخطيط بشكل واسع في موضع لاحق .

٢ . لجنة تقييم :

وهي بمثابة لجنة رقابة تساعد على رفع مستوى الأداء التنظيمي ، بتقييم العمل والأداء ، حيث تحدد مواطن الخلل وتجري التصحيح ، وتبرز نقاط التقدم وتؤمن استمراريتها .

٣ . لجنة مالية :

تقوم بتحديد الميزانيات ومتابعة المدخولات والمصروفات ، وكل ما يتعلق بالأمور المالية .

٤ . لجنة إعلامية :

مهمتها الاستفادة من عمليات التنظيم بشكل مخطط ، بهدف التأثير السلبي على الأعداء لفرض استراتيجي أو تكتيكي معين ، والتأثير الإيجابي ورفع الروح المعنوية عند جماهيرنا ومجاهدينا ، ويكون ذلك بالتنسيق مع الجهاز الإعلامي .

٥ . لجنة أمنية :

وتضم قسمين :

أ . قسم مجاله الجبهة الداخلية ، وهو مسئول عن صيانة أمن البناء التنظيمي والعاملين والعمليات ، ويكون ذلك بالمتابعة والتحري والدراسة والضبط والتوجيه .

ب . قسم مجاله جبهة العدو : وهو مسئول عن كل ما يخص هذه الجبهة من أبحاث ودراسات وتحر وجمع للمعلومات عن :

. المواقع العسكرية .

. المواقع الحيوية والاقتصادية .

. الشخصيات والزعامات السياسية والعسكرية .

. الأجهزة الأمنية والاستخبارية .

. الأوضاع الاجتماعية .

ونجاح هذه اللجنة يحتاج إلى تنسيق دقيق مع الجهاز الأمني الذي من المفروض أن يكون المصدر الذي تتزود منه اللجنة بالمعلومات التي تحتاجها .

تنبيهات قيادية

- على القيادة أن تتابع الأحداث بشكل دائم ومستمر وأن تهتم بالتفاصيل تماما كما تهتم بالنتائج ، وذلك كي تتمكن من تأمين الدقة وتصحيح الأخطاء التي تظهر أثناء العمل . فإن من الأخطاء القاتلة التي ارتكبتها الكثير من التنظيمات اهتمامها بالنتائج والعموميات دون التفاصيل ، الأمر الذي حال دون تمكنها من تفادي الوقوع في الأخطاء ، ولم تستطع تقدير الشر قبل وقوعه.
- القيادة الحكيمة هي التي تحيط مخططاتها بالسرية التامة والكتمان وتفاجئ الخصم بالعمل دون أن تسبقه بالكلام والإعلام .
- على القيادة أن تمتاز بالحكمة والهدوء وعدم الانفعال ، وأن تدرس الأمور بعناية وإحاطة لكي تتخذ القرار السليم الذي يتلاءم والأحداث دون تعطيل أو انجرار .
- يجب على القيادة أن تكون قادرة على تحديد أسباب الاخفاقات والتمييز ما كان سببه :

-العنصر البشري ، أسباب نفسية ، ضعف خبرة ، ضعف في التدريب ، قدرات عقلية محدودة ، عدم القدرة الجسدية .

- وما كان سببه المعدات ، عدم ملاءمة السلاح ، نقص في الذخيرة ، وسيلة النقل ، خلل طارئ في السلاح .

- أو ما كان سببه التخطيط ، ثغرة في الخطة ، مفاجأة غير متوقعة.

- أسباب أخرى .

- يجب على القيادة أن تكون قادرة على استثمار كافة الطاقات المتوفرة لديها وتوجيهها التوجيه السليم من خلال :

. تحديد البناء التنظيمي . . تحديد المهام .

. توزيع الموارد .

المستوى الثاني : القيادة الميدانية

رغم أن القيادة الميدانية تحل في المرتبة الثانية بعد القيادة العليا ، إلا ان قربها من مسرح العمل يعطيها أهمية وميزة خاصة ، فهي الأكثر عرضة للأخطار ، ويتطلب منها اتخاذ القرارات والتصرفات الحكيمة والسريعة ، من هنا وجب أن تتوفر لدى القيادة الميدانية الأمور التالية :

- القدرة العقلية المتميزة .
- التجربة .
- الحماسة والإيمان بالعمل .
- الإمكانيات المادية .

وأي نقص في واحد من هذه الأسلحة يعني خللا تنظيميا .

ويفضل أن تقسم ساحة الصراع إلى قطاعات ، ويكون لكل قطاع قيادة ميدانية خاصة به ، تتصل بالخلايا الواقعة تحت إمرتها وتقوم بتوجيهها ومتابعة سير عملها ، وفي إطار ذلك تحدد القيادة الميدانية لكل خلية : المهام ، حدود العمل ، درجة الحرية المتروكة للخلية والخط الذي لا يمكن تجاوزه دون أمر من القيادة ، ومعطيات توجيهية للتصرف في الحالات الطارئة .

ويتحدد نجاح القيادة الميدانية وتقدمها بمدى قدرتها على فهم جنودها وتفهمها لظروفهم واحتياجاتهم وبمدى قدرتها على إيصال ما تريد ، وإفهامه بشكل جيد لجنودها .

المستوى الثالث : الخلية العسكرية

تشكل الخلية العسكرية اللبنة الأساسية في بناء التنظيم العسكري ، فهي التي تمثل الجهة التنفيذية في التنظيم ، وبالتالي فإن كل الجهود والطاقات التي تبذلها القيادة في كافة المجالات ، من تخطيط ودراسة وتمويل ، وغير ذلك ، تتوقف كلها في نهاية الأمر على نتيجة العمل الذي تنفذه الخلية العسكرية .

من هنا يتضح لنا حساسية الموقع الذي تحتله الخلية العسكرية ضمن البناء التنظيمي وما يتطلبه منها هذا الموقع من مهارات وقدرات جسدية وفكرية ونفسية خاصة حتى تتمكن من القيام بدورها على أم وجه، وتلعب التجربة إضافة نوعية التدريب والتعبئة العقائدية والإخلاص للقضية والحماسة لها دورا بارزا في التأثير على نفسية المجاهد وإقدامه، وبالتالي على دقة التنفيذ.

وتضم الخلية العسكرية ٣ . ٥ مجاهدين بينهم قائد الخلية، وتتصل بالقيادة الميدانية بطرق خاصة تكفل عدم تعرض طرف إذا ما كشف الطرف الآخر أو أسر.

●● وحدات المهام الخاصة

يعتبر تشكيل هذه الوحدات أمرا في غاية الأهمية خاصة لمن يخوضون حربا ثورية، وذلك نظرا للتباين في ميزان القوى بين طرفي الصراع.

ولما كانت معركتنا مع أعدائنا معركة ثورية سرية، ولما كان هذا النوع من المعارك يعتمد على الحيل والمراوغة والمخادعة، وعلى توجيه الضربات الجريئة الخاطفة والمؤلمة للخصم، دون التدخل معه في مواجهة شاملة، كان لوحدات المهام الخاصة دورا بارزا في هذه الحرب.

●● أهداف تشكيل الوحدات الخاصة

١ . توجيه ضربات رادعة للعدو.

٢ . إيقاع الرهبة والرعب في صفوف الأعداء وتحطيم روحهم المعنوية. سئل الإمام علي . كرم الله وجهه . : كيف استطعت أن تتغلب على هذا العدد الكبير ممن نازلت من الرجال ؟ فقال : ما نازلت رجلا إلا ظن أني قاتله، فأكون أنا ونفسه عليه. وكما يقول مونتغمري فإن المعارك تكسب أولا وقبل كل شيء في قلوب الرجال.

٣ . رفع الروح المعنوية عند المجاهدين والجماهير.

٤ . إضعاف جبهة العدو الداخلية وإرباك قيادته السياسية والعسكرية، وذلك عن طريق إظهار عجز الأعداء أمام جرأة وإقدام مجاهدي هذه الوحدات.

٥ . حتى يكون للتهديد بالانتقام تأثير على الأعداء.

•• ميزات وحدات المهام الخاصة

١ . يجب أن يمتاز أفراد هذه الوحدات بصفات خاصة لا تتوفر في المجاهد العادي ، وفي مقدمة هذه الصفات :

- الجرأة والإقدام .
- قدرة عقلية متميزة بالذكاء وسرعة البديهة .
- قوة البدن والقدرة على تحمل المشاق والمتاعب .
- الخبرة والتجربة .

٢ . يتم تدريب وإعداد أفراد هذه الوحدات تدريبا خاصا مركزا ، حتى تتوفر فيهم دقة وسرعة التنفيذ . وإن تعذر تدريبهم في الداخل فلا بأس أن يتم ذلك في أقطار صديقة أو مجاورة .

٣ . تنظيم دقيق يمتاز بالانضباط التام والسرية .

٤ . ثقافة أمنية واسعة وفي مقدمتها الإحاطة بطرق محافظة المجاهد على أمنه الشخصي ، وعلى المعلومات التنظيمية التي بحوزته أن تصل إلى الأعداء بالتسريب أو بالانتزاع .

٥ . يختار لكل وحدة اسما خاصا يحمل معاني الرهبة والقوة في طياته .

•• مهامها

تقوم هذه الوحدات بتنفيذ المهام الخاصة التي يصعب على المجاهد العادي تنفيذها مثل : الاغتيالات ، الاختطاف ، الإنقاذ ، التطهير ...

•• نظام التسليح

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾

بدون السلاح لا تستطيع أي ثورة مواجهة أعدائها ، لذا فإن الضرورة تقتضي جمع السلاح وإيصاله للمجاهدين قبل البدء بالثورة وأثنائها ، وعملية التسلح ليست بالأمر العفوي ، بل تحتاج إلى تنظيم وترتيب ، والتجربة التي استقيناها خلال سني العمل الجهادي في فلسطيني ، تثبت لنا ضرورة وضع نظام للتسلح يتناسب وحجم المهام الملقاة على عاتق المجاهدين ويقطع الطريق على الأعداء ، بحيث لا يرتد السلاح الشخصي ليصبح خطرا يلاحق حامله ويهدد أمنه وسلامته ، ولا نبالغ إذا قلنا أن معظم الخلايا العسكرية التي عملت ضد العدو الصهيوني قد كان السلاح سبب كشفها من قبل الأعداء ، فأعضاء هذه الخلايا هم الذين كانوا يتولون بأنفسهم شراء الأسلحة والبحث عن مصادر التزود بها ، الأمر الذي كان يعرض أمنهم للخطر دائما .

من هنا كان لا بد من وضع نظام للتسلح يحفظ أمن المجاهدين ويسهل عليهم عملية الحصول على السلاح .

ونظام التسلح يقوم على أربعة أمور أساسية :

١ . تحديد السلاح الذي نحتاج كما ونوعا .
٢ . تحديد طرق ومصادر الحصول على الأسلحة .
٣ . توفير المال اللازم لذلك .
٤ . وضع نظام لاستلام وتسليم الأسلحة .

ونظام الاستلام والتسليم يحتاج إلى تشكيل مجموعات تقوم على جمع السلاح من مصادره المختلفة وإيصاله إلى المجاهدين ، وتكون هذه المجموعات موزعة على مختلف مناطق ساحة الصراع ومجموعات أخرى في الأقطار التي يمكن تهريب الأسلحة منها ، على أن لا يتجاوز أفراد كل مجموعة الثلاث أو الأربع .

وتنحصر مهام هذه المجموعات في شراء الأسلحة وتجميعه وتهريبه وتخزينه وإيصاله إلى نقاط ميتة ليستلمه المجاهدون .

ولا يفوتنا في هذا السياق أن نشير إلى ضرورة الحذر وفحص السلاح ، وعدم شرائه من مصادر مشبوهة قد تفخخ السلاح أو الذخيرة ، أو تزرع فيه أجهزة تحدد مكانه ، ونؤكد على أن الاستيلاء على الأسلحة من الأعداء يجب أن يكون مصدرا أساسيا من مصادر التسليح ، إضافة إلى تصنيع ما يمكن تصنيعه من أسلحة ومتفجرات .

الفصل الثاني

اعداد المجاهدين

عملية إعداد المجاهدين في فلسطين مسألة بالغة الصعوبة ، كون ساحة الصراع أرض محتلة ، تتكاتف فيها قوى الأعداء المختلفين وأبناء الجلدة الأقربين لواد اي عمل جهادي في مهده ، فالمطلوب منا . والحالة هذه . أن نعد مجاهدين يتقنون فنون المقاومة قبل ان يشاركوا فيها ، وتحقيق ذلك يحتاج إلى سرية تامة وبرنامج دقيق يشمل ثلاثة أمور :

أولا : التثقيــــف

ليس مصادفة ان تكون أول كلمة أنزلت على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في إطار الإعداد الرباني له القيادة لقيادة البشرية هي « اقرأ » ، فالعلم أساس العمل ، وقوى الإنسان العقلية هي التي تحرك المعارك وتدير دفتها ، فانطلاقا من هذا الفهم كان التثقيف هو الركن الأول والأساسي من أركان إعداد المجاهدين ، فأول ما يجب على القيادة القيام به بعد انتقاء الأفراد ، وهو وضع برامج تثقيفية محددة تتفاوت مستوياتها تبعا لتسلسل التنظيمي ، ويجب أن تتضمن هذه البرامج إضافة للثقافة العامة التي يجب أن يزود بها كل مجاهد :

أ. ثقافــــة شرعيــــة :

ويشكل خاص التركيز على جوانب العقيدة والتزكية ، والأحكام الشرعية التي تتعلق بالحرب والسلم ، والعلم بالسياسة الشرعية ، ودراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغزواته وحروبه والفتوحات الإسلامية وسير السلف فيها .

إن ضعف الثقافة الشرعية عند المجاهد يجعل منه تربة خصبة لأن تنمو فيها وساوس المشككين والمثبطين من شياطين الإنس والجن ، ويجعله يعيش في حالة التردد والاضطراب ، وأحيانا الإحجام عن الجهاد والمقاومة .

ومن المواضيع التي عادة ما تثار في ظروف الثورة والمقاومة ، ولا يجد

المجاهد البسيط لضعف ثقافته الشرعية إجابة قاطعة عليها :

- فرضية الجهاد .
- الجهاد في ظل غياب دولة ترعاه وإمام يقوده .
- العمليات الاستشهادية .
- الصلح والهدنة .
- المصلحة والمفسدة .
- قتل المدنيين .
- إتلاف وإحراق الممتلكات .

ب . ثقافـــة أمنيـــة :

ومن خلالها يتم تعريف المجاهد بسبل محافظته على أمنه الشخصي وأمن جماعته أثناء تحركه وتنقلاته واختلاطه بالمجتمع ، وتوعيته بأساليب مخابرات الأعداء وعملائها ، وكذلك المعرفة بأساليب التحقيق والشراك وغير ذلك من الأمور .

إن مما يؤسف له حقا أن الثقافة الأمنية تكاد تكون معدومة عندنا ، وقل من يكتسبها دون ان يدفع ثمن جهله بها مسبقا .

وسأسوق في هذه العجالة أمثلة أكشف من خلالها التخلف الأمني الموجود والألم الذي نتجرعه والثمن الذي ندفعه نتيجة ذلك .

●●● مجموعة عسكرية كانت من خيرة المجموعات التي دوخت المحتلين مدة طويلة وما استطاعوا كشفها ، إلا بعد خطأ أمني من أحد أفرادها الذي كان من المفروض أن يترك وثائقه الشخصية مع رفيقه الذي كان ينتظره في السيارة بدل أن يحملها معه عندما نزل ليضع عبوة ناسفة في مكان ما ، ولخلل معين انفجرت العبوة واستشهد هذا المجاهد ، وعن طريق الوثائق التي كانت بحوزته تم التعرف عليه ، وبالتالي كان بداية الخيط لاعتقال أفراد المجموعة .

●●● أحد العاملين في الجهاز العسكري كلف من قبل قيادته بتسليم سلاح لشخص معين. لا يعرف أحدهما الأخر. في مكان وزمان محدودين وبواسطة كلمة سر ، وما هي إلا أيام حتى يعتقل هذا الأخ ويعترف في التحقيق أنه قام بتسليم قطعة سلاح

لشخص لا يعرفه بتكليف من قيادته ، فقام المحققون بعرض مجموعات من صور معتقلين سابقين عليه في محاولة يائسة لعل الشخص المطلوب يكون بينهم ويتعرف عليه ، ولم يكد هذا الأخ ليخيب
ظنهم ، وبكل بساطة ومن حيث لم يحتسب المحققون انفسهم ، يصدقهم القول ويقوم بتحديد صورة المجاهد الذي استلم منه قطعة السلاح . ويعتقل هذا المجاهد ومن ثم باقي أفراد المجموعة ويحكم عليهم بالسجن المؤبد .

●●● مجاهد من الأبطال البارزين امتاز بجراته وتضحيته وإقدامه ، لكنه كان يفتقد إلى الوعي الأمني المطلوب ، لما اعتقل ادخله المحققون غرفة العصافير فانطلت عليه الخدعة ، ولم يشك للحظة أنهم عملاء ، الأمر الذي أذهل المحققين وجعلهم يمعنون في الاستخفاف به ، واستغلال جهله ليبقوه في هذه الغرفة عدة أيام يقوم بدور العملاء من حيث لا يدري ، ويدءوا يدخلون عنده المعتقلين الشرفاء وأحدا تلو الأخر ، يعرفهم على نفسه ويطلب منهم كتابة ما لم يعترفوا به عند المخابرات ، والذي يرفض كان يلقى من هذا المجاهد من التعذيب ما لم يلق المحققين ، معتبرا ذلك واجبا تنظيميا !!!

●●● مجاهد كان يعمل ضمن الجهاز العسكري دفعه الفضول إلى مراقبة النقاط الميتة التي حدد له اتصال بها ، حتى تعرف على الأشخاص الذين يتعاملون معه ، وعندما اعتقل وقع في فخ العصافير واعترف بكل شيء ومن ضمن ذلك الأفراد الذين كانوا يترددون على النقاط الميتة ، وأدى ذلك إلى اعتقال مجموعة عسكرية كانت مسئولة عن خطف جندي صهيوني وقتله .

●●● مجموعة مكونة من ثلاثة أشخاص قامت بقتل مستوطن طعنا بالسكين أحد أفراد هذه المجموعة الذي تعود على المشاركة في فعاليات الانتفاضة اليومية ، استمر في فعل ذلك رغم التطورات التي حدثت معه ، اعتقل هذا الأخ بتهمة إلقاء الحجارة ، ومكث في التحقيق ١٨ يوما دون أن يعترف بشيء ، ومن ثم أدخل إلى غرف العصافير ، وهناك وقع ما لا تحمد عقباه ، ومن تهمة إلقاء الحجارة إلى القتل واعتقال أفراد المجموعة !!

●●● أحد الأخوة كان مسئولا في الجهاز العسكري ، أثناء التحقيق وضع معه في الزنازين عميل تقمص دور تاجر سلاح ، وبعد أسبوع أبلغ التاجر أنه سيفرج عنه ، فظن هذا الأخ أنها فرصة جاءته من حيث لا يحتسب ، ووقع في الشرك وأسرع يبرم صفقة مع هذا الشخص ليشتري منه قطعة سلاح ، وأعطاه أسم أحد المجاهدين ليوصلها إليه ويخبره أنه لم يعترف عليه ، وعقب ذلك ضربة كبيرة للجهاز ومساعديه .

●●● جاءنا أخ إلى السجن منكسرا يعض أصابع الندم ، يريد ان يكفر عن ذنب ارتكبه في التحقيق ، ولم يجد أمامه وسيلة سوى أن يروي لنا ما حدث معه ، فقد كان هذا الأخ يعمل ضمن شبكة اتصالات بين الحركة في الداخل والخارج ، ولما اعتقل عرض عليه المحققون صفقة يقضي بموجبها كل ما في جعبته من معلومات مقابل ان يقضي مدة حكمه . التي سيتم تخفيضها . خارج البلاد بدلا من السجن ، وتحت وطأة المعاناة والضغط النفسي والجسدي ، نسي ﴿ رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ﴾ وضعفت نفسه ، وزين له الشيطان سوء عمله ، فقدم لهم كل ما يملك من معلومات واجتهد في ذلك أيما اجتهاد ، ولم يرع عهدا ولا ذمة ، ولما تأكد الذئاب أنه فرغ كل ما في جوفه تنصلوا من وعودهم ودفعوا به ليتجرع مع ألم السجن مرارة خطيئة سولت له بها نفسه ، فلما سقط في يده ورأى انه قد ضل قال: ﴿ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ﴾ .

والأمثلة في هذا لباب أكثر من ان تحصر ، ولا يتسع المجال هنا لذكر المزيد ، لكني أرى أن من الواجب عليّ أن أوضح قبل إغلاق هذا الموضوع ، ان الأمر. مقابل ذلك. لا يخلو من مواقف مشرفة ، ضرب أصحابها أروع الأمثلة في الصبر والإباء والحنكة والدهاء ، هزءوا من جلاديهم ، وأوقعوا الأعداء في شر أعمالهم ، لكني هنا اقتصرت على ذكر الشر لكثرة من وقع فيه ، فإنه ليعز على المرء أن يرى إخوانه يتهاوون في نار أوقدها الأعداء من مكرهم وخبثهم وخداعهم ، ولا من يأخذ بحجزهم ، وكما يقول الشاعر :

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

ج. ثقافة سياسية :

حتى يكون لدى المجاهد وعيا سياسيا كاملا نحو ما يدور على الساحة من أحداث ومستجدات ، وليتعرف على مواقف الحركة من مختلف القضايا كي لا يشعر أنه في معزل عن الأحداث ولا يدري بما يدور حوله ، فإن لذلك أثر كبير على نفسية المجاهد ومعنوياته .

د. ثقافة عسكرية : وفي إطارها يعطى المجاهد دروسا نظرية في أسس العمل العسكري وقواعده ، وحرب العصابات وأنواعها وميكانيكية عملها ، وإعداد المتفجرات ، وتركيب وزراعة العبوات .

ثانيا : التربيـــة

ونطمح من خلالها تنمية الصفات الحسنة في ذات المجاهد من :

- انضباط والتزام .
- وجراة وإقدام .
- وخلق قويم وتصرف سليم .
- وقتل ما يقابل ذلك من صفات سيئة وخلق ذميم .

ويعتبر الانضباط والسمع والطاعة من أبجديات التربية الجهادية ، وحمل المجاهد على السمع والطاعة (وامتثال الأمر وإنفاذه توا في العسرة واليسر والمنشط والمكره) يتحقق عن طريق التربية والتوعية المستمرة ، والتذكير الدائم بأهمية هذا الركن وحث الشارع عليه وأمره به ، حتى يستشعر المجاهد أن طاعة القيادة . في غير معصية . طاعة لله ، وأن عصيانها ومنازعتها الأمر يقود إلى الفشل ويغضب اله تعالى ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾

وفي هذا السياق يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله : (ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة ، إنه من عمليات الضبط التي لا بد منها في المعركة ... إنها طاعة القيادة العليا فيها التي تنبثق منه طاعة الأمير الذي يقودها .

وهذا لا يعني إذابة شخصية المجاهد والتعامل معه كآلة ، بل على القيادة أن تفسح المجال لكل مجاهد . أيا كان موقعه التنظيمي . لأن يقدم رأيه ومشورته

احترام ذلك ومناقشته ، لكن ساعة اتخاذ القرار فلا مجال إلا للطاعة .

وعلى القيادة أن تدرك أنها تتعامل مع بشر ، يخطئون ويصيبون ، ويترددون ويعارضون ، وعليها ان تعرف كيف تتعامل مع هذا الواقع في إطار التربية السليمة ، وكي تحقق القيادة الانضباط عند جندها فلا مناص لها من اعتماد سياسة المكافآت والعقوبات .

أما العقوبات فالهدف منها :

. منع تكرار الخطأ من قبل مرتكبه .

. منع ارتكاب خطأ مماثل من قبل شخص آخر .

. المحافظة على معنى الانضباط لدى الجماعة .

ولا بد ان نشير هنا إلى أن حجم العقوبة يجب أن تتناسب مع حجم الخطأ ، وعلى القيادة أن تدرس بدقة تأثير العقاب على المخطئ وعلى الجماعة بشكل عام .

وأما المكافآت فهدفنا منها :

. تشجيع المحسن ورفع روحه المعنوية .

. فتح باب المنافسة والمسابقة بين المجاهدين .

. إبراز أصحاب المهارات والقدرات .

والمكافأة نوعان :

١. مكافأة موعودة : كأن تعد القيادة من ينفذ عملا معينا مكافأة معينة .

٢. مكافأة غير موعودة ، تعطى للمجاهد الذي يقوم بعمل مميز.

● في ظلال القرآن

ولا يشترط في المكافأة ان تكون ذات قيمة مادية فقط ، بل يمكن أن يكون ذات قيمة معنوية ، كمنح لقب أو رتبة أو وسام أو سلاح خاص ، أو جامعة لكليهما ، القيمة المادية والمعنوية .

يحكى أن حارسا ليليا قال لمليكه يوما : لقد رايت الليلة في المنام أنك سوف تقتل ظهر اليوم ، فأخذ الملك الاحتياطات لإنقاذ حياته ضد مؤامرة كانت تعد ، وعند العصر أبلغ الملك الحارس أنه سيكافئه ويعاقبه في آن واحد . المكافأة مقابل إنقاذ حياة الملك ، أما العقاب فلأنه نام أثناء نوبة الحراسة الليلية .

ثالثا : التدريـــب ويشمـل :

ا. تدريبات جسدية :

حتى تتوفر عند المجاهد قوة البدن ولياقة الجسد وسرعة الحركة والجلد ، وإذا تعذر القيام بذلك في معسكرات تدريب خاصة ، فمن الممكن التعويض عن طريق إشراك المجاهدين في دورات تدريب ألعاب القوى في الأندية والمراكز الرياضية ، وسيكمل المجاهد بعد ذلك ما ينقصه لوحده ضمن برنامج خاص .

ب. التدريب على استخدام الوسائل القتالية :

حتى يصبح المجاهد سريع الرماية دقيق الإصابة .

ويدرب المجاهد على كافة أنواع الأسلحة المتوفرة وصيانتها ، والرماية من مختلف الأوضاع ، في حالة الثبات ، واقفا ، جاثيا ، جالسا ، منبطحا ، والتقدم والانسحاب والانحراف على الأهداف الثابتة والمتحركة ، من مسافات متفاوتة ، في النهار والليل ، والإطلاق من وسائل النقل المختلفة كالسيارة والدراجة ، على أهداف ثابتة ومتحركة .

إضافة إلى التدريب على استعمال الأسلحة النارية ، يتم كذلك التدريب على استخدام الأسلحة البيضاء ، وقتال الشوارع ، وكذلك قذف القنابل وإعداد وتركيب وزراعة العبوات .

ج. التدريب على شن الهجمات :

كنصب الكمائن ، ومهاجمة أهداف محدودة ، واحتجاز الرهائن ، والاغتيالات ، والاختطاف ، مع التدريب على الأساليب السليمة للانسحاب ، ونقل المصابين من مسرح العمليات .

د. التدريب على قيادة مختلف أنواع وسائل النقل :

خاصة السيارات والدرجات النارية ، والسياقة في الليل مع طفي مصابيح السيارة ، وتشغيل السيارة دون استعمال مفتاح التشغيل ، واختراق أجهزة الأمان والإنذار في السيارات .

هـ. إضعاف ردة فعل المفاجأة عند المجاهد بتعريضه لسلسلة مفاجآت تقوم القيادة بتحضيرها بعد عملية حساب ودراسة دقيقة لأهم ما يمكن أن يتعرض له المجاهد من مفاجآت أثناء عمله ، ويتم في الوقت ذاته تلقين المجاهد سبل التصرف عند التعرض للمفاجأة .

و. مكافحة الجبن والخوف :

ما من شخص مجرد من الخوف ، وإنما يمتاز الرجل الشجاع عن غيره بأنه يقهر خوفه ويتعالى عليه ، ويؤدي واجبه بالرغم منه ، وخير وسيلة تنتهجها القيادة لمكافحة الخوف عند جنودها هي :

- تعزيز ثقة المجاهد بنفسه ، وإيجاد قناعة لديه أنه قادر على تجاوز الصعاب وركوب المخاطر ، وتساعد التدريبات التي أشرنا إليها سابقا في تعزيز ذلك.
- تعزيز ثقة المجاهد بقيادته ، فمن الضروري أن يشعر المجاهد بقدرة قيادته وكفاءتها وحكمتها وإخلاصها .
- تعزيز ثقة المجاهد بنجاعة الأساليب التي يستخدمها في المقاومة ، والسلاح الذي بين يديه .
- وأولا وأخير تعزيز الجوانب العقائدية والإيمانية في نفس المجاهد .

ز. تدريب المجاهد على الحذر الشديد أثناء تحركاته وتنقلاته ، خوفا من المراقبة أو الوقوع في خطأ أو كمين ، والاندفاع بقوة دون تردد أثناء الهجوم .

إن نظرة فاحصة لجهاز الحركة العسكري تجعلنا نرى أن المنتمين إلى هذا الجهاز تم تنظيم جزء منهم مباشرة بعد مدة وجيزة من انتمائهم إلى الحركة ، والآخرين بعد قطعهم شوطا معينا ضمن نظام الأسر التربوية ، وبعد دخول المجاهد يصبح في صراع مع الزمن ويتعذر عليه حين ذاك أن يتزود بما كان مفروضا أن يتزود به مما أشرنا إليه في إطار برنامج إعداد المجاهدين . والمجاهد هو أول من يدفع ثمن الفجوة القائمة بين الجهاز الدعوي الذي يبتعد كل البعد عن كل ماله صلة بالجهاد والمقاومة ، والجهاز العسكري الذي هو جهاز تنفيذي يتعذر عليه بسبب المعوقات القائمة على الأرض أن يصرف الكثير من الجهد والوقت من أجل

إعداد المجاهد وتأهيله قبل إشراكه في العمل .

من هنا فان الضرورة تقتضي إنشاء جهاز تربية جهادية يناط به مهمة إعداد المجاهدين وتزويدهم بالثقافة والتربية اللازمتين ، وكذلك بعض التدريبات العملية التي لا يدخل فيها استخدام السلاح الناري ، حتى إذا ما التحق المجاهد بالجهاز العسكري كان ناضجا بما فيه الكفاية ومستعدا للعمل بعد اليسير من التدريب على السلاح .

ومن المفروض أن يضم إلى جهاز التربية من تصطفيهم الحركة من بين أعضاء الأسر التربوية وبذلك نحقق غرضين اثنين في آن واحد :

. تأهيل المجاهدين ، وإعدادهم قبل إشراكهم في الجهاد والمقاومة .

. وتحقيق التدرج في عضوية التنظيم ، ومن شأن ذلك أن يقلل من إمكانية الاختراق ، وان يسهل على الجهاز العسكري عملية اصطفاء وتنظيم الأعضاء ، من خلال تسلم قيادته تقارير يرفعها جهاز التربية الجهادية بطريقة معينة عن الأعضاء المنتمين إليه .

وفي التدرج أيضا كسر لحاجز الخوف والتردد الذي عادة ما يكون حائلا بين مشاركة كثيرين في المقاومة ، فكثير هم الذين يوافقون على التثقيف والتربية والتدريب ، بينما يترددون ويعارضون عندما يعرض عليهم العمل مباشرة ، وبعد مدة من التربية والتدريب ينكسر عندهم حاجز الخوف ويصبحون مستعدين للتنفيذ ، وهكذا هي حال أكثر الناس ، فلو أن دولة ما دعت مواطنيها للاشتراك في حرب مباشرة ما استجاب إلا القليلون ، ولكن إن دعتهم إلى التجنيد والتدريب استجاب الكثيرون ، وبعد التدريب يستسهلون بل يتوقون للتنفيذ .

الفصل الثالث

التخطيط

هو عبارة عن عملية صياغة للخطوات اللازمة لتحقيق الأهداف بالاستفادة من المعلومات المتوفرة والوسائل المتاحة ، على نحو منسق ومحدود ، وحتى تتحقق سلامية التخطيط ودقته فلا بد من توفر الأسس التالية :

١ . هدف محدود .

٢ . وسائل مكافئة يتناسب وحج الهدف .

٣ . معلومات دقيقة ، تعتبر المعلومات الدقيقة عنصرا أساسا وهاما لا بد منه في عملية التخطيط ، وحتى تكون المعلومات صالحة فلا بد أن تكون دقيقة ومفصلة ومستوفية لعناصرها وأن يكون توقيت الحصول عليها مناسبا .

٤ . تفكير سالم متزن : إن صاحب التفكير السليم إذا توفرت لديه التجربة والخبرة يمكنه أن يبتكر الكثير ويفاجئ الخصم كل يوم بجديد .

وعند وضع الخطة العسكرية يجب :

- تحديد كافة الاحتمالات والمخاطر ، وحساب الخسائر المادية والمعنوية المحتملة لكلا الطرفين .
- الأخذ بعين الاعتبار عامل الصدفة الذي يجب أن لا يغيب عن حساباتنا .
- الاحتفاظ في اليد بإمكانيات إضافية قادرة على تعويض الخسائر .
- تحديد إمكانيات الخصم الهدف وردود فعله المتوقعة .
- اعتماد أسلوب المباداة والمفاجأة .
- عدم تنفيذ العملية إلا إذا كانت نسبة نجاحها أكثر من النصف .
- يجب أن تعالج الخطة أبسط التفاصيل وأدقها ، ففي العمل العسكري لا مكان للخطط المجملة .

إن سلامة التنفيذ تعتمد على سلامة التخطيط ، لذا فإن على القيادة ان تهتم بأن يكون التخطيط دقيقا تماما كما تهتم بأن يكون التنفيذ دقيقا وصدق القائل : إن الفشل في التخطيط كالتخطيط للفشل .

●●● الحيطـــة

الحيطة تعني تحقيق الحماية من خلال دراسة إمكانيات الخصم وتصرفاته المتوقعة ، فبناء على معرفة إمكانيات الخصم وتوقع تصرفاته المحتملة يتم تحديد سبل الوقاية والحماية .

يجب أن يكون عندنا البصيرة الكافية بعدونا ، والتي تمكننا من فهم عقليته والتنبؤ بخطواته قبل أن يخطوها ، وضرباته قبل أن يضربها ، هذا التنبؤ من شأنه أن يفشل تدبيراته ويشل فعالياته ، ويقضي على آثار مفاجاته ، ويعصم الأمة ويطعمها من آثار حربه النفسية كالتطعيم ضد جرثومة مرض قبل أن تضر الجسم .

ولقد اهتم الإسلام بهذه القاعدة العسكرية اهتماما كبيرا ، فقد دعا القرآن الكريم المؤمنين إلى أخذ الحيطة والحذر ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتا أو انفروا جميعا ﴾ ٢ .

وفي إطار ذلك شرع الإسلام صلاة الخوف حفاظا على المجاهد من أن يؤخذوا على حين غرة ، قال تعالى ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلختكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ ٣ .

ودرس في الحيطة من النمل نتعلمه ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ .

وفي يوسف واخوته آيات للسائلين ، فهذا يعقوب عليه السلام يدرك ببصيرته أن الغيرة والحسد يقود حامله إلى المكر والكيد ، ويرى أن السرية هي الإجراء الوقائي الأمثل لحفظ يوسف من كيد اخوته ، وكأن يعقوب أدرك تأويل الرؤيا من قبل أن يجعلها ربي حقا ، فكنت وصية الأب الحكيم :

﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ ٢٠.

●●● المفاجـــــأة

تتحقق مفاجأة الخصم إذا تمت مباغتته بعمل لم يتوقعه ، ولم يسعفه الوقت ولم يمتلك الوسائل الكافية لصده ، وعليه فإنه يلزم توفير السرية والسرعة لتتحقق المفاجأة .

● أشكال المفاجأة :

١. مفاجأة العدو في مكان أو زمان التنفيذ أو كليهما معا ومثال على ذلك :
عملية الثأر الثالثة لاغتيال الشهيد المهندس يحي عياش والتي نفذها في القدس الاستشهادي البطل رائد الشرنوبي عام ١٩٩٦ وأدت إلى مقتل وجرح العشرات من الصهاينة ، وأشرف على تنفيذها المجاهد حسن سلامة وساعده المجاهدان الأسيران أيمن الرازم وأكرم القواسمي .

فقد تم تنفيذ هذه العملية البطولية الرائعة بعد أسبوع من عملية مماثلة سبقتها في نفس اليوم . الأحد . وفي نفس الساعة و، وفي نفس المكان ، وفي حافلة تسير على نفس الخط . خط ١٨ . الأمر الذي فاجأ الأعداء وأذهلهم وأربكهم أشد الإرباك ، ولقد جمعت هذه العملية بين شكلين من أشكال المفاجأة ، مفاجاة العدو في نفس مكان وزمان التنفيذ .

٢. مفاجأة العدو في استخدام سلاح لم يسبق استخدامه : مثل استخدام الصواريخ في مدينة الخليل .
فقد حصلت مجموعة من مجاهدي كتائب الشهيد عز الدين القسام في مدينة الخليل على عدد من صواريخ التدريب ، وقامت بتزويدها بكمية من المتفجرات ، وتم استخدام هذه الصواريخ في عمليتين :
الأولى : في شهر كانون الأول عام ١٩٩٤ حيث قام الشهيد المجاهد طاهر قفيشة بإطلاق صاروخ على ما يسميه المستوطنون بيت هداسا ، الدبويا ، مما أدى إلى هدم الواجهة الأمامية للبناية .

الثانية : كانت في شهر شباط عام ١٩٩٥ حيث قام المجاهد ماجد الجعبة بإطلاق صاروخ على مقر الحاكمية العسكرية في الخليل مما أدى إلى إصابة مجندة وهدم الواجهة الأمامية للبناية ، وشارك في العملية المجاهدون الشهداء طاهر قفيشة ، عادل الفلاح ، وحامد يغمور ، حيث قاموا في نفس الوقت بإطلاق النار من بنادقهم باتجاه مبنى الحاكمية ، ورغم أن هاتين العمليتين لم تسفرا عن وقوع الكثير من الخسائر إلا أن الصدى الإعلامي الذي صاحبهما كان كبيرا .

وكنت أفضل لو أن هذه الصواريخ أطلقت على أهداف أكثر حساسية مثل سيارات شخصيات إسرائيلية بارزة ، أو مباني هامة مثل الكنيست أو ديوان رئيس الوزراء ، المباني الوزارية ، دار الحكومة ... إلا أن ظروف المجاهدين على ما يبدو لم تسمح لهم بأكثر من ذلك ، حيث كانوا وقتها مطاردين .

٣. مفاجأة العدو بعملية اعتبر القيام بها مستحيلا وأسقطها من حساباته مثل عملية اختطاف الجندي الصهيوني نسيم طوليدانو بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٩٩٢ ، وسنتحدث عن هذه العملية لاحقا بشكل مفصل .

فقد كانت هذه العملية هي الأولى من نوعها التي يتم فيها خطف جندي صهيوني واحتجازه والمفاوضة من اجل إطلاق سراح أسرى محتجزين في سجون الاحتلال ، ومما يؤكد وقوع المفاجأة تخبط الحكومة الصهيونية وقيامها بعملية الإبعاد الجماعي الشهيرة إلى جنوب لبنان .

٤. مفاجأة العدو بتنفيذ العملية على شكل جديد لم يعهده من قبل ومثال عليه : عملية بيت ليد الاستشهادية البطولية التي وقعت مطلع عام ١٩٩٥ في محطة لتجمع الجنود الصهاينة ، ونفذ هذه العملية شابان استشهاديان من حركة الجهاد الإسلامي ، بأسلوب غاية في الروعة ، حيث قام أحدهما بتفجير الحقيبة التي يحملها وسط المحطة ، بينما انتظر الأخر حتى تدافع المنقذون ورجال الشرطة وخبراء المتفجرات وفجر حقيبته ليلحق بصاحبه الذي سبقه إلى جنات الخلد شهيدا ويلحق الجنود الصهاينة إلى جهنم بعضهم بعضا .

وبهذا الأسلوب الذي لم يعتد الأعداء حدوثه من قبل ، تمكن المجاهدون من إيقاع عشرات القتلى والجرحى في صفوف جنود الاحتلال .

تحديد الأهداف

مما لاشك فيه أن وضوح الهدف وارتباطه بعقيدة المجاهد ، وكذلك ثبات الحركة على أهدافها التي اختطتها لنفسها وعدم تنازلها أو تراجعها عنها وتصميمها على تحقيقها مهما عصفت بها الشدائد أو نزلت بها النوائب يشكل الأساس في تحقيق النصر .

فمتى وضحت الغاية للمجاهد ووجدت الحماسة لها وتوفر الإخلاص في سبيلها أصبحت الطريق ممهدة لتحقيقها ، والحركة التي يكتنف أهدافها الضبابية والغموض ويلمس عندها الاستعداد للتنازل والتراجع عن أهدافها وغاياتها تخسر على صعيدين :

. صعيد الخصم الذي يزداد عنادا وتصلبا كلما رأى خصمه يتراجع ويتنازل طمعا في تحقيق المزيد من التنازلات والانتصارات .

. وصعيدها الداخلي : بحيث تضعف الحماسة عند مقاتليها ويتسرب إلى نفوسهم الضعف والخور .

وينبغي الإشارة هنا إلى أنه حتى وإن قمنا بتحديد أهدافنا ودعمناها برباط من العقيدة متين ، وتوفر الإخلاص في سبيلها ، ووجدت الحماسة ، واستطعنا أن نحوز ثقة الجماهير ودعمها ، فإن ذلك لن يكون بحال كافيا لتحقيق أهدافنا بسهولة ويسر ، فلا بد مع ذلك كله من قوة مادية منظمة نواجه بها الأعداء بوسائل تكافئ وسائلهم ، وسنجد في طريقنا مشاقا وصعابا متنوعة ، فلا بد لذلك من الثبات والصبر ، فالمجد لا ينال بالأماني .

وعلينا أن ندرك أن أحداثا ومستجدات ستعرض لنا في الطريق ، وأن جهادنا سيسير في مراحل وأطوار ، فلا بد من وضع أهداف واختيار وسائل تلائم كل مرحلة دون أن ننسى لحظة هدفنا النهائي الذي انطلقنا من أجل تحقيقه .

إن من سمات القيادة الناجحة قدرتها على استثمار كل جهد يقدمه

مجاهدوها في سبيل تحقيق أهدافها وغاياتها ، وكي يتحقق ذلك فلا بد من أن تضع القيادة لنفسها جملة من الأهداف تتلاءم والمرحلة التي تمر بها ساحة الصراع ، وعلى القيادة عند تحديدها الأهداف المرحلية ملاءمة هذه الأهداف للوسائل المتاحة ، وقدرة القيادة على تحديد أهدافها بعيدة المدى ، ومتوسطة وقصيرة المدى بدقة ، والموازنة بين الأهداف والوسائل يشكل بداية الطريق للنصر

وأخير أقول : إن الرغبة وحدها لا تكفي لتحقيق الأهداف والتطلعات ، فالرغبة تحتاج إلى إرادة ، والإرادة تحتاج إلى تصميم ، والتصميم يحتاج إلى تنفيذ ، والتنفيذ يحتاج إلى تخطيط ... وكثير هم الذين يحملون الرغبة ويفتقدون الإرادة ، وكثير من الذين تتوفر لديهم الإرادة ينقصهم التصميم ، وقلما تجد جامعا للرغبة والإرادة والتصميم ، منطلق على بصيرة للتنفيذ .

الفصل الرابع

التوعية الجماهيرية

ما كانت ثورة لتنجح وتحقق أهدافها دون دعم الجماهير ومساندتها ، فالجماهير للثورة كالتربة للنبتة تزودها بمقومات الاستمرارية والحياة ، حتى تؤتي النبتة أكلها طيبا زكيا ، فلا بد من سقي تربتها والعناية بها ، والذي يحرص على قطف الثمرة ولا يكلف نفسه مشقة العناية بالتربة يجد نفسه في نهاية المطاف وقد خسر كل شيء .

من هنا فإن على الثورة أن تهتم بجماهيرها وترتقي بهم عن طريق توعيتهم وتنمية مقدرتهم على فهم واقعهم والتعامل معه بصورة إيجابية .

يجب تعبئة الجماهير وتوعيتهم بما يدبره الأعداء من تآمر وإفساد مادي ومعنوي ضد شعبنا وأمتنا ، وما هو مطلوب من كل مواطن حر شريف حريص على وطنه ومجتمعه ، من يقظة وانتباه للوقوف في وجه الأعداء وإبطال مؤامراتهم ومكائدهم .

مقصر كل من لا يستغل كل دقيقة وكل حدث في تطوير وعي أمته ، حتى تستطيع بهذا الوعي ان تكشف مؤامرات عدوها وآثاره النفسية الخفية ومخططاته الشيطانية ، وتصمد لحربه ، وتقدم عن حب وطواعية ضريبة العزة والنصر والكرامة ، من مالها ومن دم أبنائها ، ومن زهرات فلذات أكبادها ، تقدم ذلك كله وهي تبتسم للموت لأن ملء وجدانها ثقة بوعد الله ويقينا بنصره ، وإيمانا بدحر أعداء الله وإحباط كيد الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وتوعية الجماهير يجب أن تشمل :

أولا : ظاهرة العمالة

ظاهرة العمالة من أسوأ إفرازات الاحتلال الصهيوني ، ومن أخطر الظاهر وأشدها سلبية وأثرا على مجتمعنا الفلسطيني .

فليس أخطر من أن يكون عدو الأمة من داخلها ، يتكلم بلغتها ويعرف حركاتها وسكناتها ثم يكون للمحتل عينا يبصر بها وأذنا يسمع بها ورجلا يتحرك بها ، ويدا يبطش بها .

لا شيء أسوأ من الخيانة ، إنها كسكين جارحة تقتطع من جسد الأمة وتنهش منه بهدوء ، أو كمرض خبيث يتسلل إلى الجسم ويبدأ يحطمه شيئا فشيئا ،ولا يكتشف إلا بعد ان يستفحل ويصبح عضالا ، وعندها الاستئصال مؤلم والإبقاء أشد .

ليس أشد وقعا على المجاهد من طعنة غادرة تأتيه من الخلف ، وممن يحب من أباء أمته الذين قدم روحه وما ملكت يداه من أجل عزتهم وكرامتهم ، أو من صديق مقرب إليه أمّنه على سره ، وأفضى إليه بما في صدره ، ليسلمه بعد ذلك ويبيعه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين .

ما من مصيبة أعظم من ان يأتي نذل حثالة نكرة ، ذيل مخنث ليس فيه من سمات الرجولة شيء ، ليقضي على أمل أمة بأكملها في أحب أبنائها إليها .

●●● طرق الأعداء في تجنيد العملاء

لما كانت الخيانة أمرا تأنف منه النفس السوية وتلفظه الفطرة السليمة ، ولا يقبلها من كان في قلبه مثقال ذرة من خلق أو إيمان أو انتماء ، كان لا بد للأعداء من البحث عن طرق ووسائل يوقعون من خلالها « الضعاف » في شباكهم ويبتزوهم ليكونوا عملاء مخلصين يفعلون ما يؤمرون ويفسدون في الأرض ولا يصلحون .

ويمكننا تلخيص هذه الأساليب الخسيسة الرخيصة التي تفتقت عنها قريحة الأعداء تبصرة للأمة وتحذيرا لها :

١ . الإغراءات المادية :

استطاع الأعداء تجنيد قلة قليلة من الناس لصالحهم باستخدام هذا يحتسب ولانكشف ما به من ضيق ولو بعد حين ، فكثير ما يقع الإنسان في أزمة خانقة يظن وقتها ان السبل انقطعت به ، وأن لا مخرج له منها ، لكن الله جعل لكل قدرا ، وما هي إلا فترة وتنتهي ، وغمة وتنجلي ، لكن بصيرته كانت عمياء وغطى

بريق المال على عينيه ، ولو انه تذكر خنق الفخ الذي نصب له لهان عليه هجران الحية ، ولما احتمل ذلا لازما ، فإن الحرة تموت ولا تأكل بثديها .

٢ . المعاملات الحكومية :

فرضت على المواطنين الفلسطينيين الرازحين تحت الاحتلال قوانين وإجراءات قهرية قسرية ظالمة ، ومن ضمنها التشديد في إجراءات المعاملات الرسمية ، مثل معاملات جمع العائلات المشتتة بين الداخل والخارج ، والمتزوجون من أقارب لهم خارج الوطن ، ومعاملات السفر للطلبة ومغتربين ، ورخص البناء وغير ذلك .

وعندما يتقدم صاحب الحاجة ويراجع الدوائر الحكومية بغية إنجاز معاملاته يستغلون وضعه ويبتزونه من أجل التعامل معهم ، وتبلغ المساومة ذروتها عندما تغلق الأبواب عمدا في وجهه ... صاحب الحاجة في منتصف الطريق ، بعد أن يصبح تخليه عن حاجته صعبا ، فالطلبة عادة ما يمنعون من السفر لإكمال دراستهم بعد ان يكون الواحد منهم شوطا من الدراسة ليس من السهل عليه التضحية به ، والأزواج يمنعون من إحضار زوجاتهم بعد عقدهم القران وهكذا ... وبهذه الطريقة أوقعوا بعدد من الضعاف الذين انطبق عليهم المثل القائل : صاحب الحاجة أرعن ، أما الكبار فما لهم عليهم من سبيل .

ليس هذا فحسب ، فلقد وصل بهم الحد إلى زرع عملائهم داخل المحاكم الشرعية × لابتزاز النساء اللاتي يأتين إلى هذه المحاكم للمراجعة في قضايا الطلاق والنفقة ، فقد تبين أن قاضي المحكمة الشرعية في القدس يقوم باستغلال النساء المراجعات ، ويتظاهر بأنه يريد مساعدتهن ويطلب من بعضهن القدوم إلى منزله في الجزء الغربي من مدينة القدس ، وهناك يكون بالانتظار عصبة من الكلاب يوقعون بهؤلاء النساء ويقومون بإسقاطهن وتصويرهن .

ولقد أثارت صحيفة كول هعير العبرية الموضوع على صفحاتها بعد أن تقدمت امراة بشكوى ضد رئيس المحكمة الشرعية في القدس لمحاولة ابتزازها جنسيا ، واستطاع مراسل الصحيفة التقاط عدة صور لمنزل القاضي ومجموعة من النساء والرجال يترددون عليه بصورة مشبوهة ، وقد منعت الصحيفة من قبل الشاباك من متابعة الموضوع واستمرار النشر فيه .

٣. المخدرات

لا يحتاج إلى كبير برهان القول بأن ترويج المخدرات وانتشارها في المجتمع الفلسطيني إنما هو بتوجيه وتشجيع من المخابرات الإسرائيلية ، فهم يدركون تمام الإدراك أن الذي يدمن على المخدرات إن لم يأتهم بنفسه صاغرا طالبا التعامل معهم حتى يتمكن من توفير ثمن المخدر الذي يتعاطاه ، فليس أقل من تحطيمه وقتل روح المقاومة والعطاء في نفسه ... ومعروف أن الذي يدمن على المخدرات يستسهل بعدها كل المعاصي والموبقات حتى أنه ليصل به الانحلال والانحطاط إلى بيع شرفه والمتاجرة بعرضه والسرقة والغصب والنهب والسلب .

× الحديث هنا يدور عن المحاكم الشرعية الإسرائيلية الغير تابعة للأوقاف الإسلامية التي تفصل في القضايا التي تخص المسلمين في مدينة القدس وداخل المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ .

من هنا فإنه يجب أن يكون واضحا أن من يتاجر بالمخدرات وينشرها بين الشبان خائن لله ولدينه ولشعبه ووطنه ، إما بشكل مباشر بارتباطه وتعامله مع الأعداء وإما بشكل غير مباشر من خلال مساهمته بنشر الفساد والرذيلة والانحراف في المجتمع والتسبب بتمييع الشباب وتدميرهم نفسيا وأخلاقيا وجسديا ، الأمر الذي يجعل منهم لقمة سائغة يلتقمها الأعداء ويهضمونها بسهولة دون عناء .

٤. العقوبات :

هذا الأسلوب يستخدم عادة لابتزاز ومساومة من قاموا بارتكاب مخالفات قانونية كالذين تتراكم عليهم الضرائب والغرامات أو المحجوز على ممتلكاتهم ، والذين صدرت قرارات هدم لمنازلهم لتشييدها دون ترخيص .

وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب مع المعتقلين أثناء التحقيق معهم سواء كانوا سياسيين أو جنائيين ، حيث يعرضون على المعتقل التعامل معهم مقابل إطلاق سراحه إن كانت قضيته بسيطة ، أو تخفيف حكمه وتسهيل إطلاق سراحه في حال حدوث إفراجات معينة ، إن كانت قضيته كبيرة ، ولا تنطلي هذه الخدعة إلا على قلة من ضعاف النفوس والإيمان ، وغالبا ما يكون هؤلاء من أصحاب الجنح والانحراف ومن الفتيان الصغار الغير معبئين جهاديا ، قاموا في لحظة

حماس واندفاع بعمل ما دون تقدير للعواقب واستعداد لتحمل النتائج ، وعندما يحدث ما لم يكن لهم في الحسبان ويعتقلوا ، لا يحتملون المحنة وتضيق صدورهم ذرعا ويضطربون وينهاروا ، ويصبح الواحد منهم مستعدا لعمل أي شيء مقابل إخراجه من هذه المحنة والإفراج عنه ، وهنا يستغل المحققون أوضاع هؤلاء ، ويزيدوا في تعذيبهم والتضييق عليهم ، ومن ثم يبتزوهم ويجندونهم لصالحهم .

وقد يطلقون سراح بعضهم ممن يرون فيهم القدرة والكفاءة للعمل في المجتمع واختراق التنظيمات ، والبقية يلقون به إلى السجن للعمل داخله بعد أن يأخذوا عليهم المآخذ اللازمة .

٥ . الجنس :

وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب وأحقرها ، وأكثرها خسة وهمجية ويكشف عن وجه يهود المنتن القبيح .

ولن نذيع سرا إذا قلنا أن يهود اعتمدوا هذا الأسلوب ودأبوا على استخدامه لتحقيق أهدافهم وغاياتهم على مستوى العالم بأسره ، فهم أرباب الفساد والانحلال الخلقي في العالم أجمع ، ولا يختلف في ذلك عاقلان، ولست في صدد الحديث عن ذلك ولا حتى الحديث عن نشرهم الفساد والإباحية الجنسية في بلادنا من خلال : البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، وأشرطة الفيديو ، والسينما والإنترنت ، والهاتف والصحف والمجلات ، ومن خلال نشر الدعارة وترخيصها ، وتشجيع الشذوذ الجنسي ، وما إلى ذلك من ألوان الفساد وأشكاله .

إنما حديثنا عن استخدام الصهاينة الجنس وسيلة لتجنيد العملاء ، إما بالإغراء ، حيث لا يخلو مجتمع من منحطين متمردين على القيم والأخلاق لا تنقصهم الجرأة على انتهاك محارم الله وإتباع الشهوات ، يسهل عليهم بيع أنفسهم وأوطانهم وانتمائهم بثمن بخس ، لإشباع شهوة بهيمية .

والأمرّ من ذلك والأخطر هو المساومة على العمالة باغتصاب والابتزاز الجنسي ، ولذلك أشكال مختلفة :

منها ما يكون بجر الضحية لإقامة علاقة جنسية غير شرعية بالإغراء والإغواء ، والتهديد بكشف هذه العلاقة إذا رفضت الضحية التعامل معهم ، ومنها ما يكون بواسطة عملائهم الذين يستدرجون الضحية إلى مكان

يناسبهم ، أو وكر من أوكارهم ، مستغلين عامل الصداقة أو القربى أو العمل ، وهناك يخدرون الضحية بطريقة أو بأخرى ويجردونها من ملابسها ، ويلتقطون لها صورا عارية فاضحة ، وغالبا ما يغتصبونها ، وبعد ان تفيق وترى ما قد حل بها ، والصور التي التقطت لها ، توضع أمام خيارين كلاهما مر ، ولا بد أن تختار : الخيانة وتبعاتها أو الفضيحة ، واي امراة يمكنها أن تصمد أمام الفضيحة ؟ إن فضيحة المراة في مجتمعنا تعني نهايتها ، حتى وإن سلمت من أهلها ولم يقتلوها فل يرحمها المجتمع وستلوكها ألسنة الناس ، وإن كانت عزباء فلن يتزوج منها أحد ، وإن كانت متزوجة فعلا فلا أقل من الطلاق .

وبينما ترى المراة الضحية هذا المصير ماثلا أمام عينيها ، يهوّن الذئاب عليها الخيار الأول ، ويعدونها بالستر وكتمان الأمر ، وحتى تزويجها من أحدهم إن كانت عذراء حتى لا يكتشف أمرها ، ويغررون بها ويوهمونها أن ما ستقدمه من خدمات سيكون بسيطا ولن يكلفها الكثير ، فتضطر بعض الضحايا للخضوع والقبول بالسير في هذا الطريق ، وتستعصم أخريات ويرفضن الابتزاز وقد يخبرن اهلهن بما حدث معهن أو يبقين متكتمات .

ومنهن من لا يطقن هذا ولا ذاك ولا يجدن طريقا للخلاص مما حل بهن سوى الانتحار .

بهذا الأسلوب هتكت أعراض كثير من النساء ، وكل واحدة تقع في شباكهم تسهل لهم صيد فريسة أخرى وهكذا .

اعترف أحد العملاء أنه أسقط امراة وجندها لصالح الأعداء بمساعدة شقيقته العميلة ، ومكروا مكرهم وكان مكرهم : أن تدعوا أخته هذه المراة المتزوجة حديثا إلى منزلهم وتستدرجها بالحديث عن الزواج والمعاشرة ، وفعلا وقعت هذه المراة المسكينة في المصيدة وبدات تحدث صديقتها عما يدور بين المرأة وزوجها ، وتماديتا في ذلك لدرجة أن خلعت ملابسها ، وبدات تقوم بحركات تمثيلية أمام صديقتها ، وفجأة ظهر هذا العميل بينهما بعد أن قام بتصوير المراة وهي عارية ، وطلب من شقيقته الخروج ، وهددها بفضحها أمام زوجها إن لم تمكنه من نفسها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، إنما كنت البداية لمأساة ليس لها نهاية .

ولا يقتصر الأمر على النساء فإن « الكلاب » يستخدمون هذا الأسلوب أيضا مع الشباب ويبتزونهم بنفس الطريقة .

ومن أشد الجرائم بشاعة والتي لا يكاد يتصور حدوثها إنسان ، قيام المحققين الصهاينة باغتصاب عدد من الأشبال أثناء التحقيق معهم لكسرهم والضغط عليهم من أجل التعامل معهم ، وقد تأكد لنا حدوث ذلك فعلا من خلال مصارحة عدد من الأشبال الذين ارتكب هذا العمل الإجرامي بحقهم .

لو اطلعت على هؤلاء الأشبال ورأيت كيف كان الواحد منهم يعج مرحا وحيوية ونشاطا ، وكيف أصبح بعد ذلك يعيش في تيه وشرود واضطراب ، حبيس دموعه الحزينة وذكرياته المريرة ، يملؤه القلق والخوف من ماضيه وحاضره ومستقبله ، وقد لزمه ذل الدهر ، لسان حاله يقول : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا .

ومما يعتصر له القلب حزنا وألما ، وتذهب النفس عليه حسرات أن يحدث هذا وغيره مما يشيب له الولدان ويجعل الحليم حيران لأهل فلسطين ، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها صامتون لا يبالون ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أكتب هذا الكلام رغم مرارته لأني أشعر أنه من الواجب أن يعلم العالم أجمع بحقيقة هؤلاء وأفعالهم ، إنهم مجرمون أنذال ، لا يمتون إلى الإنسانية بصلة ، إنهم حقا «كلاب» ، بل إنهم لأخس طبعا من الكلاب ، إن الكلب إن أحسنت إليه لم يعضك ، أما هؤلاء ففي كل الأحوال يعضون وينهشون ، حتى أن أنيابهم لتمتد إلى النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهدون سبيلا ، إنها طبائع الجبناء ، ان يطعنوا في الخفاء ويظهروا قوتهم على الضعفاء ، أما الرجال فقد شاهدناهم يفرون أمامهم ، وترتعد أوصالهم ويبكون .

●●● مكافحة الجاسوسية

القضاء على هذه الظاهرة نهائيا يعتبر أمرا مستحيلا ما دام الاحتلال متربعا على أرضنا ، وما دام في الأمة ضعاف وأنذال ومتكسبون ، لكن ليس أقل من التصدي لهذا المرض السرطاني الخبيث والحد من انتشاره وذلك من خلال :

١. توعية وتبصير الجماهير بأساليب الأعداء في التقاط العملاء والإيقاع بهم ، والتوضيح لهم كيفية التصرف في حال تعرض أحدهم لمشكلة من هذا النوع .

٢. فضح مخابرات الأعداء وكشف وسائلها الخبيثة عالميا ، على مستوى وسائل الإعلام ، ومؤسسات حقوق الإنسان ، والجمعيات النسوية .

٣. ملاحقة العملاء ونبذهم اجتماعيا ، وإيقاع أقصى العقوبات بمردتهم الذين ارتكبوا جرائم بشعة بحق شعبهم ووطنهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، وانتشال وإصلاح ما يمكن إصلاحه ممن لم يغرقوا كثيرا في وحل العمالة .

٤. محاربة مظاهر الفساد والانحلال الخلقي ، ومكافحة ظاهرة تعاطي المخدرات ونشر القيم والخلاق الحميدة في المجتمع .

٥. التكافل الاجتماعي وسد حاجة المحتاجين .

ثانيا : الإشاعــة

حرص الإسلام أشد الحرص على مقاومة الإشاعة والتصدي لها ، وتنظيف المجتمع منها ، لما لها من آثار مدمرة على مستوى الأفراد والجماعات .

وقد عانى المجتمع المسلم كثيرا من هذه الظاهرة الآفة التي تولى المنافقون كبرها ، ووصلت المعاناة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت حادثة الإفك التي أصابت المجتمع المسلم كله حين ذاك بالذهول والاضطراب درسا عمليا للأمة ، لا تنساه على مدار الأجيال ، يتعلم منه المسلم خطورة الكلمة وأثرها ، فلم يكن اللهَ ليذر الأمة تخوض في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤذيه في أهله شهرا كاملا ، لو لم يكن وراء ذلك حكمة ، وحكمة بالغة ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب أليم ﴾

ولم يكتف القرآن الكريم بتقريع ناقلي الإشاعة ومروجيها ، إنما حارب هذه الظاهرة وعمل على اجتثاثها من جذورها ، فنهى المسلم أن يتبع أو يبني حكما على ما هو في محل الظن ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عليه مسئولا ﴾

ولما كانت الإشاعة مقولة تنقل دون التثبت من مصدرها ، دعا القرآن

الكريم المؤمنين إلى التحقق من مصدر الخبر ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

وإن عجز المسلم التحقق من مصداقية المعلومة أو الخبر فإن عليه أن يرفعه إلى أولي الأمر ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ .

ونهى القرآن الكريم كذلك عن الخوض في أعراض الناس وتوعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ . وقال أيضا ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة وهم عذاب عظيم ﴾

وطلب من المسلم الابتعاد عن مجالس الذين يخوضون في آيات الله ، والذين هم حضنة الإشاعة ومروجيها ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ .

إن هذه التربية القرآنية كفيلة وحدها في القضاء على الإشاعة وإبقاء المجتمع سليما معافى منها ومن آثارها ولكن ﴿ ما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ .

●●● أهداف نشر الشائعات ●●●

١. تحطيم قوى الخصم المعنوية ، وأكبر مثال على ذلك الشائعات التي انتشرت عام ١٩٤٨ حول شراسة العداء وهمجيتهم ، وأنهم إذا دخلوا قرية قتلوا أهلها واغتصبوا نساءها وسلبوا أموالها ، هذه الشائعات وإن كانت تحمل شيئا من الحقيقة دمرت الروح المعنوية عند المواطنين ، وجعلتهم يفرون من قراهم ومدنهم مذعورين بدلا من الانغراس في الأرض والصمود والمواجهة .

٢. إثارة الفوضى والتمرد والاضطراب في المجتمع .

٣. خلط الأمور على الناس وخلق جو من عدم المقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والغث والسمين ، وذلك بهدف إخفاء الحقيقة ، وتصعيب معرفتها على عامة الناس .

٤. تشويه الشرفاء والحط من مكانتهم ورفع شأن المنهزمين الذين يخدمون مصالح العدو ، وتلميعهم وتقديمهم للناس كزعامات وطنية مخلصة .

٥. تستخدم الإشاعة أيضا كوسيلة للوصول إلى الحقيقة ، وقد دأبت مخابرات العدو على استخدام هذا الأسلوب عندما كانت تقع عمليات جهادية ولا تعلن أي جهة مسئوليتها عنها ، فكانت تشيع أن جهة معينة هي المسئولة عن العملية بقصد استفزاز الجهة الحقيقية ودفعها للإعلان وتبني العملية ، الأمر الذي يضيق دائرة البحث ويسهل عليهم كشف الفاعلين .

●●● مقاومة الشائعات ●●●

إضافة إلى ما أشرنا إليه سابقا من تعاليم قرآنية من شأنها أن تعصم المجتمع من آفة الإشاعة وتطعمه ضدها ، فإن هناك أيضا طرقـــا لمكافحة الإشاعة لا بد أن نشير إليها هنا وهي :

١ . توعية الجماهير ، إن الجهل أفضل تربة خصبة لخلق الشائعات وترويجها .
٢ . التعامل مع الجماهير ببساطة ووضوح ، وعرض الحقائق على نطاق واسع .
٣ . كشف مروجي الإشاعات .
٤ . تحليل الإشاعة لمعرفة هدفها ومن يقف وراءها .
٥ . تعزيز ثقة المواطنين ببعضهم وبالتنظيم الذي انطلق من أجل تحقيق أهدافهم .

ثالثا : التوعية السياسية

التنظيم بأمس الحاجة أن تقدر الجماهير مواقفه وقراراته ، وتتعاطى مع هذه المواقف والقرارات التي تفرضها الأحداث والتي قد تبدو في ظاهرها غريبة مستهجنة ، ولا تنسجم مع رغبات الجماهير ، فالجماهير عادة ما تميل إلى الراحة والدعة ، والكسب السريع الذي لا يتطلب كبير جهد وعناء ، وحمل الجماهير على تبني مواقف سياسية صعبة وحازمة لا يتحقق بسهولة ويسر ، ويزداد الأمر تعقيدا بوجود أحزاب متساهلة متنازلة ، وبوجود سياسة تجهيل وتضليل موجهة ومدروسة من قبل الأعداء .

من هنا فإن على التنظيم بذل كل جهد مستطاع من أجل توعية الجماهير ، كي تتفهم مواقفه وقراراته وتقدرها وتساندها ، وكي تتصدى لمؤامرات الأعداء وتبطلها ، وكي تعرف صديقها من عدوها ، ولا تكون كالريشة في مهب الريح يتلاعب بها الأعداء كيفما يشاءون .

إن ضحالة الوعي السياسي عند الجماهير هو ما يجعلها تسير خلف كل ناعق ، وتنقاد كقطيع الغنم إلى حيث لا تدري ، وتنطق بما لا تعي ، فيجب اغتنام كل فرصة وكل وسيلة من اجل توعية الجماهير وتثقيفها ، عبر سياسة مخططة ومدروسة ، مستغلين ما يمكن استغلاله من وسائل التوعية والتوجيه .

- المنابر والخطابات .
- المنشورات .
- الإذاعات .
- الفضائيات .
- الصحف والمجلات .
- الإنترنت .

وعلى التنظيم أن لا يقتصر في نشر الوعي على طبقة معينة من بقات المجتمع ، فالهم الوطني ليس حكرا على فئة دون أخرى ، بل يجب أن يعيش بناء المجتمع جميعا هذا الهم ، ويكون شغلهم وحديث يومهم .

رابعا : التعبئة الجهادية

للتعبئة الجهادية دور كبير في :

١ . تغذية الثورة بالمجاهدين ، فبقدر نجاح الجهد الذي تبذله الثورة في تعبئة الأمة وتنمية روح الجهاد والمقاومة في نفوسها ، بقدر ما يتدافع أبناؤها للالتحاق بالثورة ومساندتها .

٢ . تدعيم المقاومة الشعبية ، التي تعتمد أساسا على إبراز مظاهر المعاداة والتمرد الجماهيري على الاحتلال عبر :

- خلق نظرة عدائية لكل ما هو صادر عن الاحتلال ومؤسساته .
- تنظيم المظاهرات والإعتصامات والمسيرات .
- تحريض الجماهير على المشاركة في أعمال المقاومة ذات الطابع العام مثل:

إشعال الحرائق في كل ما يمكن أن تلتهمه النار مما يمتلكه الأعداء من محاصيل زراعية وأحراش وأبنية ووسائل نقل .

- قطع خطوط الهواتف والكهرباء والمياه .
- رجم سيارات المحتلين بالحجارة والزجاجات الحارقة .
- الطعن بالسكاكين . وما إلى ذلك من أشكال المقاومة التي يجب أن تحرص الثورة عليها وتوضح أهميتها وطرق تنفيذها .
- حث الجماهير على مساعدة المجاهدين ومد يد العون لهم من خلال :
  - إيواء الملاحقين من قبل الأعداء وتأمين المخبأ لهم .
  - إعاقة ملاحقة المجاهدين وتضليل الأعداء عن أماكن تواجدهم .
  - إسعاف المجاهدين المصابين محليا ، وإحضار أطباء ثقات لمعالجتهم أو نقلهم إلى عيادات ومستشفيات خاصة إذا استدعت الحاجة لذلك ، وعدم نقلهم إلى مستشفيات عامة كي لا يكونوا عرضة للاعتقال كما حدث مع المجاهد البطل حسن سلامة ، فقد تم اعتقاله نتيجة لجهل المواطنين الذين وجدوه مصابا ، وعدم معرفتهم التصرف السليم في مثل هذه الحالات ، فقد نقلوه إلى مستشفى عمومي . مستشفى عالية في مدينة الخليل . وهناك تم اعتقاله .

إن في كل أمة مضطهدة عناصر قوة كامنة ، تحتاج من يثورها ويشعل فتيلها ، وعندها تنفجر كالقنبلة لا قبل للأعداء بها ، وليس أدل على ذلك من الانتفاضة الفلسطينية التي أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن الجماهير يمكنها أن تقدم الكثير ، ولولا سوء استغلال الانتفاضة وتوجيهها من قبل كافة التنظيمات الفلسطينية لكان لها شأن آخر ليوم .

فقد أخفقت كافة التنظيمات في التعامل مع الانتفاضة وتطويرها ، فبعض التنظيمات استغلت الانتفاضة لتحقيق مكاسب سياسية محدودة لها ، وعملت جهدها كي لا تتطور الانتفاضة وتصبح ثورة جماهير مسلحة ، وهو الوضع الذي كان يجب نقل الانتفاضة إليه .

ومن أوجه هذا التآمر على الانتفاضة والالتفاف عليها ، الحيلولة دون استخدام عناصرها السلاح ضد المحتلين ، والاقتصار على قتل العملاء فقط ،

ومما يؤكد ذلك أنه عندما تعاظمت قوة الفهد الأسود في منطقة جنين ، توجه إليهم أحد قياديي حركتهم وطلب منهم بشكل واضح أن لا يستخدموا السلاح ضد الصهاينة ، وحصل لهم على اتفاق مع المحتلين يسمح بموجبه لمن شاء منهم مغادرة البلاد إلى الأردن مدة معينة ، والعودة بعدها .

ناهيك عن دعم الصراعات التنظيمية وافتعالها ، خاصة ما كان منها في قطاع غزة لإشغال أفرادهم وأفراد حماس عن مواجهة الاحتلال عسكريا ، واستنزاف الطاقات داخليا .

وجاء اتفاق أوسلو تتويجا وتجسيدا لهذا التآمر والالتفاف على الانتفاضة ، وإخماد لجذوتها .

لقد عملت المنظمة . وما زالت . على امتلاك الجماهير وجعلها مطية تركبها حينا وتتركها حينا ، كما يحلو لها ، فهي لا ترى في الجماهير . ولا تريد . أكثر من ورقة ضغط في يدها ، تستخدمها متى شاءت لتحقق مكاسب سياسية لها ، وما ممارسات السلطة اليوم إلا دليل على ذلك .

وحماس التي تزامنت ولادتها مع ولادة الانتفاضة ، رغم أنها استطاعت في زمن قياسي أن تكسب ثقة الجماهير وتعاطفها ، وأن تنفذ عمليات جهادية بطولية لم تشهد الساحة الفلسطينية عبر تاريخ الصراع مع الصهاينة مثيلا لها ، إلا أنها اضطرت أحيانا لمجاراة التنظيمات لأخرى في أمور شكلية ، كان يجب عدم الانشغال بها ، وكذلك فإنها كانت تتعامل مع الواقع فقط ، وتتخذ ما يناسبه من قرارات ، ولم تستشرف المستقبل وتخطط له وتحتاط لما هو آت ، وهذا ما أوقعها في المأزق الذي تمر به الآن ، ولا يمكننا لذلك تجاهل التقصير في تطوير عملها العسكري وتدعيم قواعده ، وعدم الاستفادة من عملياتها العسكرية سياسيا ، بل على العكس تركت لغيرها الاستفادة من عملها .

أما تنظيمات اليسار ، فلم يكن يشغلها شيء سوى إثبات وجودها على الساحة ، والصراع من أجل البقاء في وقت لفظها فيه المجتمع وتجاوزها ، فانشغلت بالشعارات والبيانات وكأنها تقول للناس : ما زال فينا رمق ، لم نمت بعد .

وهذا لا يعني أني أتجاهل وجود مخلصين في كافة التنظيمات قدموا لوطنهم وأمتهم الكثير ، إنما أشرت إلى صبغة عامة وسياسة ظاهرة .

••• ركائز التعبئة الجهادية •••

تعتمد التعبئة الجهادية على ثلاثة ركائز هي :

١. العقيدة :

قد يستغرب الناس من شاب في مقتبل عمره يقبل على الشهادة في سبيل الله طائعا من نفسه ، وبيده يضغط زر انطلاق روحه إلى ربه ، وتحار في فهم ذلك عقولهم ويتيهون ، لكنها العقيدة التي إن تمكنت من نفس المؤمن جعلته يعشق الموت كما يعشق الناس الحياة ، يحرص على بذل المال كما يحرص الناس على جمعه ، ليس من الدنيا في شيء ، وجل همه إرضاء ربه .

٢. روح العداء والانتقام :

يجب تأصيل العداء في نفس كل مسلم ، وتعميق معانيه ، وترسيخ مفهوم الثأر والانتقام ممن اغتصبوا أرضنا وأذلوا شعبنا ، ممن هدموا بيوتنا ونهبوا قوتنا ، ممن ارتكبوا بحقنا المذابح والمجازر، من قتلة الشيوخ والنساء والأطفال ... كل شبر من أرضنا يحكي حكاية مأساة ومذبحة ، كفر قاسم ودير ياسين وقبيا ونحالين ، صبرا وشاتيلا ، الأقصى والمسجد الإبراهيمي ، فكيف نصفح أو ننسى ؟ .

٣. الثقة بالنفس :

لن يعرف طعم الانتصار شعب استحوذت على نفسه الهزيمة والضعف والخوار ، ولن يقهر شعب يواجه الباطل في استعلاء وملء نفسه عزة وشمم وإباء .

الفصل الخامس

●●● الأســـــر

مخطئ من ظن يوما ان السجن « خلوة » ، كان هذا في زمن ابن تيمية رحمه الله ، أما في زمننا فهو « بلوى » ، الحياة فيه تسير على نسق واحد يثير الضجر والاشمئزاز ، لا قيمة فيه للوقت ، إذ لا قيمة للإنسان ، السجين يصارع الوقت ليقتله والوقت يصرع عمر السجين ويأكله ، كل شيء في السجن منقلب رأسا على عقب ، العبد فيه حر والحر فيه عبد ، كل ما في السجن يؤرقك ويؤلمك ، العجز يحاصرك ، والذل والهوان كظلك يلازمك ولا يفارقك .

السجن مقبرة الأحياء ، فيه يدفن الرجال الأحرار ، ومعهم تدفن كل المعاني الجملية والقيم الأصلية ، السجن مأساة ما بعدها مأساة ، وهوان ما بعده هوان ، وأي مأساة أعظم من ان يقهر الرجال الأحرار ؟! اي هوان أكبر من أن يعرى شيخ من ملابسه ، وعشرات اللقطاء ينظرونه ويحيطونه ؟ !

لطالما فكر كل سجين أن يثور ويجدع أنف جلاديه ويحطم جبروتهم ، ويسحق رؤوسهم لكن العجز يقيده ، السخط يملأ قلبه ويثور به لسانه ، وتعجز عن ترجمته بيده ... أدركت الآن فقط معنى أن يموت العصفور في قفصه قهرا وكمدا ... فإنه لا يعرف قيمة الحرية إلا من فقدها ، ولا يعرف قسوة السجن إلا من كابدها ، قد يظن البعض أن هذه كلمات مثبط محبط هدّه السجن وقهره القيد ، لو كنت كذلك ما كتبت ، لكنها حقيقة مأساة نحياها في سجون الاحتلال ، نجابهها بعزيمة وصبر وإصرار .

هل أحدثكم . حتى تدركوا حقيقة المأساة . عن التفتيش العاري الذي يتعرض له السجناء صباح مساء ؟ أم أحدثكم عن دماء نزفت وعظام كسرت وأجساد سحقت ؟ هل أحدثكم كيف قضى في السجن صبرا الشهداء دون أن يقدم لهم علاج أو دواء ؟

ام هل أحدثكم عن العزل ومآسيه ؟ عن ابطال حرموا رؤية الأهل وأدمت القيود معاصمهم ... آه ... هل أحدثكم عن حكماء فقدوا في السجن عقولهم ، وأصحاء حطمت الأمراض أجسادهم دون ان يسمع أحد من عالم حقوق الإنسان والحريات بهم ، هاكم حكاية تجسد معاناة الأسرى وصمودهم وصبرهم ، حكاية سجين أسطورة لو حط ما لقيه في السجن من تعذيب وقهر واضطهاد على جبل لجعله دكا ، ولو وزع ما يحمله في حناياه من عزيمة وإباء وجموح وعنفوان على أمه لكفاها ... هذه الحكاية تمثل جزء من معاناة وجهاد البطل أحمد حسين شكري / أبو ذر / في سجون الاحتلال ولا تزال أحداثها جارية حتى اليوم .

دخل بطلنا أبو ذر السجن قبل حوالي عشر سنوات ، وبعد ان لقي ما كان يلقاه كل سجين فلسطيني متهم بقتل يهود . أثناء التحقيق . من تعذيب وإيذاء ، نقل إلى قسم العزل في سجن الرملة ، وكانت مديرية السجن قد افتتحت هذا القسم مطلع الانتفاضة بعد أن تزايدت العمليات الجهادية البطولية التي كان لحماس نصيب الأسد منها ، ويتكون هذا القسم الذي أطلقت عليه مديرية السجون قسم حماس من زنازين انفرادية صغيرة تحت سطح الأرض ، تغمرها مياه المجاري والأمطار في فصل الشتاء ، وتنتشر فيها الحشرات والجرذان ، ويتعذر على أشعة الشمس أن تتسلل إليها ، وقد أراد الظالمون من هذا القسم أن يكون مقبرة لإذلال المجاهدين والانتقام منهم وكسرهم وتحطيم معنوياتهم ، لكن المجاهدين ردوا كيد الظالمين إلى نحورهم ، وأحالوا القسم إلى عرين أسود تتصدى لكل من يحاول مس كبريائها وشهد هذا القسم ملاحم بطولية حق أن تدون في سجل شرف هذه الأمة.

وكان أبو ذر أحد أبطال هذا القسم ، عانى ما عاناه إخوانه من ضيق واضطهاد ، وشاركهم الصمود والصبر والعناد ، وما زاد في معاناة المجاهدين في ذلك القسم الرهيب كون اغلب سجانيه من الدروز الذين جمعوا بين حقد يهود وجلافة الأعراب وخسة العملاء ، فعز على أبو ذر أن يرى هؤلاء في عنجهيتهم يتيهون دون ان يلقنهم الدرس الذي يستحقون ، فطال بشفرته أحدهم وأصابه إصابة متوسطة في وجهه ورقبته ، وكان أن قامت الدنيا على رأس أبي ذر ، تداعت عليه الكلاب من كل حدب وصوب ، وأخذت تنهش جسده ، أوسعوه ضربا بالعصي والركلات ، وما

تركوه إلا بعد أن أفقدوه وعيه .

ولم تكد تمر عدة أيام على هذه الحادثة . استرد أبو ذر فيها عافيته حتى ينتفض من جديد ، ومرة أخرى ينطلق الأسد من عرينه ، ومن زنزانة صغيرة لا يتجاوز طولها طول الإنسان ، يطلق عليها الأسرى اسم الخزانة أو القبر ، يحتجز فيها من يرتكب مخالفة من السجناء ، ينطلق بطلنا وبصورة أقرب إلى الخيال ، يقتلع باب الزنزانة الحديدي ، ويخرج مع الفجر يجوب قسم الأسود عاصبا رأسه ، حاملا عصاه في يده هاتفا « الله أكبر » بأعلى صوته ، ويستيقظ المجاهدون على أبي ذر يتبختر بعصبته وعصاه صائحا فيهم أعلنت الجهاد !!! ، وما ان انطلق الأسد من قفصه حتى فرت الكلاب والذئاب ، وأخلت له الميدان ، يجوبه مكبرا محطما كل ما وقعت عليه يداه ، وكانت النهاية كسابقتها ، فبعد أن جمعوا قوتهم أتوه صفا ، وماذا تفعل عصاه الصغيرة أمام جموع المدججين بالغاز والهراوات والدروع ؟ .

ونقل أبو ذر بعد هذه الحادثة إلى قسم أيلون في نفس السجن كإجراء عقابي ، ومكث هناك سبعة أشهر ، ثم أعيد إلى قسم حماس ليعاود الجهاد ، وكانت رجله قد تورمت من أثر الضرب الذي تعرض له فاستغل فرصة حضور عدد من الضباط إلى القسم وطلب منهم الذهاب إلى العيادة لفحصه وتقديم العلاج له ، لكن العلاج في عرف هؤلاء المجرمين من نوع آخر ، ليس كما عهده البشر ، اقتحموا عليه زنزانته بعد ان أغرقوها بالماء ، وأخرجوه منها وانهالوا عليه ضربا بصورة وحشية همجية حتى كسروا جمجمته ، ونقلوه إلى المستشفى فاقدا الوعي ، ومن المستشفى إلى القسم من جديد ، لكن هذه العودة لم تكن كسابقاتها ، فقد عاد هذه المرة فاقدا قواه العقلية والجسدية ، مثقلا بالجراح والكسور ، وبقي أشهرا لا يدري ما يدور حوله ولا يقيم لأي تصرف وزنا ، ووسط دعاء إخوانه الذين خضبت دموع الرجاء نحورهم تداركته رحمة الله ، وعاد لوعيه ، ليعود من جديد يواصل مسيرة الجهاد والصمود .

وبعد قرابة أربع سنوات من المعاناة والتحدي والصمود ، أجبرت مديرية السجون على تفريغ هذا القسم الرهيب ، ويخرج أبو ذر منه في جولة صمود وتحد

جديدة يطوف خلالها السجون ، نفحة ثم جنيد ، وفي جنيد اكتشفت إدارة السجن محاولة هرب في الغرفة التي كان يسكنها أبو ذر ويعزل مجددا ، وهذه المرة يبدأ عزله بسجن شطة ، وقبل أن يدخل القسم يوضع معه في غرفة الانتظار سجينا جنائيا يهوديا ، فينهال عليه أبو ذر ضربا باليمين ، ومن الطريف أنه أراد ذريعة لضرب هذا الشخص ، فكان أن توجه إلية سائلا : ألست من قتل رابين ؟ فأجاب : لا لست أنا ، وعندها انهال عليه أبو ذر ضربا ، متهما إياه بالكذب !! والشخص يقسم أنه ليس قاتل رابين ، وما أنقذه من بين يديه إلا تدخل الشرطة ، ونشر وقتها في الصحف العبرية أن سجينا أمنيا اعتدى بالضرب على سجين جنائي يهودي لاعتقاده أنه قاتل رابين !!!

ولم يطل المقام بأبي ذر في سجن شطة ، فسرعان ما نقل إلى عزل بئر السبع وهناك شهد وفاة المجاهد رياض عدوان ، ورأى بأم عينيه تجاهل إدارة السجن لحالته الصحية المتدهورة ، وتأخيرهم في تقديم العلاج له حتى توفي ، حيث كان يعاني من مرض في القلب وضيق في التنفس ، فقرر أبو ذر الثأر من طبيب السجن ، فكتب رسالة وضح فيها سبب قيامه بهذه الخطوة ، ، واستغل فرصة مناسبة وطعن الطبيب في رأسه ، وبعدها بدأت معاناة جديدة لأبي ذر ... الضرب المبرح ، والحرمان من زيارة الأهل ، والاحتجاز في زنازين انفرادية صغيرة بحجم الفرشة ، تفتقد إلى دورة مياه ، مغلقة ليس لها نافذة ، يضطر السجين عندما يخرجونه مرة في اليوم لقضاء حاجته أن يفعل ذلك وهو مقيد الرجلين واليدين من الخلف ، وزادوا لأبي ذر قيدا ثالثا بين القيدين !!

سنة كاملة عاشها أبو ذر في ظل هذه الظروف القاسية التي يعجز المرء عن وصف بشاعتها مهما أوتي من فصاحة لسان وقوة بيان ، وما عرف الجزع صدره ، وما فارقت البسمة ثغره .

أذكر أنني كنت مرة في هذه الزنازين وكان في زنزانة مجاورة سجين جنائي يهودي ضبطت معه كمية من المخدرات ، كان هذا السجين يصل ليله بنهاره مولولا باكيا ، بينما كنت وأخوة من حولي نتبادل الفكاهات والضحكات ، ورغم انهم كانوا يخرجونه معظم النهار خارج الزنزانة ويسمحون له بالاتصال الهاتفي ، ويعطونه

ما يشاء ولكنه لم يكن ينفك عن البكاء .

واليوم يقبع أبو ذر في قسم العزل في سجن عسقلان ، حيث تتواصل المحنة والمعاناة ويتواصل الصمود والإباء ، ورغم كل ما لاقاه وكل ما عاناه ما زالت أسمى أمانيه الشهادة في سبيل الله .

هذه الصورة المظلمة القاتمة التي عرضناها للسجن ومآسيه ، تقابلها اخرى مشرقة مضيئة ، تتجلى فيها حياة الأخوة والنظام في أبهى معانيها ، وهو ما تفتقد إليه الحياة بضوضائها وصخبها .

فرغم شدة المعاناة ، لم يحن لها الأسرى الجباه ، وقابلوها بثورة عارمة على الغطرسة والاستبداد ، قالوا : لا لحياة الذل والهوان ، ودفعوا ثمن ذلك : أنّات وأيام جوع ودماء وشهداء ، وأحالوا السجون التي شيدت لإذلال المجاهدين إلى قلاع أسود ، علما وثقافة وخلقا وتقوى ، وأصالة انتماء ، لكن هذا الجانب الإيجابي الوحيد في حياة الأسرى بدأ هو الآخر يضعف ويضمحل نتيجة لاشتداد غطرسة واستبداد إدارة السجون ونتيجة كذلك للوهن والإحباط الذي أصاب طائفة من الأسرى ممن فقدوا مبررات المقاومة والتحدي والصمود ، فهم يقاسون ألم السجن بينما قيادتهم تصافح يد جلادهم وتوقع معه الاتفاقات والعهود .

●●● وجوب فك الأسرى ●●●

●●● فك الأسرى واجب شرعي

أجمع علماء الأمة على وجوب فك الأسر المسلم إن وقع في يد العدو ،وان على الأمة بذل كل جهد مستطاع من أجل إطلاق سراحه ، بالقوة إن تمكنوا ، وإن عجزوا وجب عليهم الفداء بالمال ، ومن الأدلة علة ذلك :

ما أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فكوا العاني (أي الأسير) وأطعموا الجائع وعودوا المريض » ١ قال ابن عرفة من المالكية : استنقاذ الأسارى بالقتال واجب فكيف بالمال ، زاد اللخمي : ولو بجميع اموال المسلمين .

يقول ابن العربي : ... إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة ، حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم ، كذلك قال مالك وجميع العلماء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد .

●●● فك الأسرى واجب أخلاقي

إن الأسير الذي يقع في يد الأعداء إنما هو مجاهد انطلق دفاعا عن حقوق امته وشرفها وعزتها وكرامتها ، فلا يجوز أن تتركه الأمة يواجه أصناف العذاب والبلاء دون ان تعمل جهدها من أجل إنقاذه من الأسر ، وإن مما يدمي القلب ما نعيشه اليوم من تنكر الأمة لأسراها ، وغفلتها عن تحريرهم وإنقاذهم ، وتجاهلها لآلامهم وعذاباتهم ، والأعجب من ذلك والأغرب هو تجاهل الجهات الرسمية والقيادات التنظيمية لأسراها ، وكأنهم لا ينتمون إليها ، وكأن ما بهم

ليس دفعا لثمن عزتها ورفعتها .

إن الثورة التي تترك أسراها في أيدي الأعداء يسامون سوء العذاب دون أن تعمل جهدها لاستنقاذهم لهي ثورة فاشلة لا ترعى ولاء ولا تستحق البقاء ، وشهادة لتاريخ أسجلها أن كافة التنظيمات الفلسطينية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار والوسط المتردي . كما يصفها أقدم الأسرى في سجون الاحتلال أحمد أبو السكر. كلها قد خيبت أمل جنودها الأسرى في سجون الاحتلال ، وتخاذلت عن أداء واجبها ، ولم ترع عهدا ولا ولاء .

فالسلطة الفلسطينية قد أجرمت بحق الأسرى مرات ومرات ، بدءا من نسيانهم عند توقيعها اتفاق أوسلو ، ومن ثم إخضاعهم إلى التجزئة والمعايير ، والمراحل والدفعات ، ولم تدرك الألم والمعاناة التي تسببت بها للأسرى وعائلاتهم ، من إرباك واضطراب وخيبة أمل ، لا أظنها تدرك أنها قتلت روح المقاومة والكفاح في نفوس جنودها ، الذين أصبح كل واحد منهم يقيس المعايير على نفسه ، فمن انطبقت عليه فاز فوزا مبينا ، ومن لم تنطبق عليه فساء مصيرا .

صحيح أن السلطة تمكنت من إطلاق سراح بضع مئات من الأسرى خلال اتفاقاتها مع إسرائيل ، إلا أن هذا لا يكفر جريمتها بإهمال قضية الأسرى وتهميشها ابتداء ، ومن ثم إخضاعها للمعايير والمراحل الزمنية ، وكان يجب إبقاء قضية الأسرى قضية مركزية غير قابلة للتجزئة والمرحلية والمعايير ، مهما تطلب ذلك من وقت وجهد ، ولقد أثبتت الأسيرات الفلسطينيات أنهن أرجح عقلا وأكثر إصرارا وصلابة من المفاوضين والقياديين الفلسطينيين ، عندما رفضن تجزئة قضيتهن ، وكان قرارهن إما جميعا وإلا فلا رغم توجه ممثلين عن السلطة لهن والطلب ممن وافقت إسرائيل على الإفراج عنهن بالخروج .

ولا ألوم السلطة فقط فكما أسلفت فإن جميع التنظيمات تشترك في الإثم والتقصير ، فجميع التنظيمات باستثناء حماس لم تقم بأي محاولة جدية للإفراج عن الأسرى ، وحماس رغم قيامها بمحاولات عديدة لخطف جنود صهاينة والمبادلة عليهم ، إلا أن هذا لا يعفيها من التقصير كقيادة ، كون جميع هذه المحاولات

قد وقعت إما بمبادرات فردية ، أو بتخطيط تنظيمي على مستوى بسيط ، أما القيادة السياسية والعسكرية فهي كباقي التنظيمات تجاهلت . ولا تزال . معاناة أسراها ولم تكلف نفسها إعداد خطة أو ترتيب عمل من شأنه إخراجهم من السجن.

إننا عندما اخترنا السير في هذا الطريق كنا ندرك تبعاته ، ولم نكن ننتظر من أحد حمدا ولا شكورا ، وما زلنا مستعدين لبذل والعطاء والتضحية والصبر حتى أخر رمق ، لكنه عتاب لمن تنصلوا من واجباتهم وإيقافهم عند مسئولياتهم .

●●● التطبيـــق

يشتمل هذا القسم من الكتاب على مجموعة من العمليات العسكرية المميزة ، نفذها مجاهدون من كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس .

وقد تم تصنيف هذه العمليات والتعليق عليها ضمن أشكال المقاومة التالية :

- الاختطـــاف .
- المتفجـــرات .
- الكمائـــــن .
- الاشتباكـــات .
- الاغتيـــالات.

●●● الاختطاف

عملية خطف الجندي الصهيوني نحشون فاكسمان

كما يرويها عضو المجموعة المجاهد الأسير جهاد يغمور :

عندما قررنا تنفيذ عملية الخطف كان أول شيء عملناه هو تجهيز المكان الذي سوف نضع فيه الجندي بعد خطفه ، ووقع الاختيار على بيت جهزه الأخ زكريا نجيب ، حيث أنه كان ملائما في الموقع لقربه من حدود القدس وسهولة التحرك منه وبعد الجيران عنه واستقلاليته .

بعد ذلك قمنا بتجهيز مستلزمات التخفي والتنكر بملابس اليهود المتدينين ، حيث أننا اشترينا طقمين كاملين من بناطيل وقمصان وأحذية وقبعات كبيرة تشبه ملابس اليهود الإشكناز ، بالإضافة إلى ملابس تشبه ملابس المستوطنين ، ومن الأمور التي ساعدتنا كثيرا في عملية الخطف هي نوعية السيارة التي استخدمناها في العملية ، حيث أننا قمنا باستئجار سيارة من شركة إسرائيلية من نوع فولكس فاجن ، وعليها كتابات باللغة العبرية ، ومن يراها لا يشك للحظة أن هذه السيارة ليست لليهود ، وبعد تجهيز هذه الأمور كانت خطتنا أن ندخل إلى المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، وبالتحديد إلى الطريق بين مدينة اللد ومدينة بتاح تكفا ، حيث أننا علمنا أن هذه الطريق دائما يكون بها جنود خاصة في ساعات المساء بسبب وجود بعض المعسكرات هناك . وقررنا أن نكون أربعة أشخاص في عملية الخطف ، حيث يجلس أحد الاخوة بجانب السائق ويلبس لباس الإشكناز ، وفي الخلف يجلس الأخوين الآخرين ، وكل واحد من الأربعة مسلح بقطعة سلاح ، رغم اقتناعنا بعدم الحاجة لاستخدامها ، حيث أن الخطة تقضي أن يبادر السائق بالحديث مع الجندي بعد ان يشير بيده طالبا نقله ، وهذا ما حصل حيث توقفت السيارة على بعد أمتار ، وعند وصول الجندي بادره السائق بالسؤال عن وجهته ، فرد الجندي أنه يريد التوجه إلى مدينة الرملة ، فطلب السائق منه الصعود ، وعندما صعد إلى السيارة كان هناك مكان واحد فارغ فجلس فيه ، وبعد أن جلس وتحركت السيارة ، قام السائق بإغلاق الأبواب من عنده عن طريق نظام إغلاق مركزي.

وكان الأخ الذي يجلس بجانب الجندي ينتظر الإشارة من السائق حتى يبدأ بتنفيذ المهمة ، وعندما أصبحت الطريق خالية أمام سيارتنا وخرجنا من بين ازدحام السيارات أعطى السائق الإشارة عن طريق المرآة التي في السيارة ، وقد كان المذياع في السيارة يغني بالعبرية بصوت مرتفع ، وهذا الأمر فرض على الجميع الصمت ، ومباشرة وضع الأخ الذي بجانب الجندي يده حول عنق الجندي وسحب رأسه إلى الأسفل وبقي ممسكا عنق الجندي ، وبمساعدة الأخوين الآخرين تم وضع القيود في يديه وإغلاق فمه مع العلم أنه حاول أن يستخدم سلاحه ، حيث أنه وضع المخزن في السلاح بعدما طوق عنقه ، ولكن تمت السيطرة عليه حيث ضربه أحد الاخوة بكعب المسدس على رأسه ، وأخذ مخزن السلاح منه وأعطاه للسائق ، وخلال هذه اللحظات كان الجندي في حالة هيجان ، حيث أنه كان يصرخ ويضرب أبواب السيارة برجليه ويتوسل الا يتم قتله .

حاول أحد الاخوة تهدئته فأغلقوا فمه وجلسوا على قدميه وأخبره أحد الاخوة أننا لا نريد أن نؤذيه ولن نقتله ، وقال له أننا من كتائب القسام التابعة لحماس ، ونريد أن نبادله بالأسرى ، بعدها لم نسمع صوته إلا عندما كنا نسأله عن بعض الأمور مثل أسمه ووحدته ومكان خدمته .

عندما خرجنا في طريقنا إلى مكان العملية سلكنا طريق القدس. تل أبيب مرورا بالقسطل ، حيث أن هذا الطريق خال من الحواجز العسكرية ، وفي طريق العودة اخترنا أن نرجع عن طريق تل أبيب. رام الله ، حيث أن في هذا الطريق يوجد حاجز عسكري واحد ، وعادة لا يفحصون السيارات القادمة من تل أبيب ، وخاصة إذا كانت تحمل لوحة تسجيل صفراء ، ومررنا عبر الحاجز بسلام. بحمد الله. دون ان يلتفت لنا الجنود .

بعد وصولنا أحضرنا كاميرا فيديو مستأجرة ، وقمنا بتصوير الجندي وهو يوجه رسالة إلى حكومته وأهله ، وفي اليوم التالي قام أحد الاخوة. من الخاطفين. بالتوجه إلى قطاع غزة وهو يحمل هوية الجندي ورخصة قيادته وشريط الفيديو بالإضافة لرسالة إلى الأخوة في الجهاز العسكري ، وكان من المقرر أن

يلتقي بالأخ المجاهد محمد ضيف ليسلمه الأغراض ويتفق معه على التفاوض والمدة الزمنية وكيفية الاتصال ، ولكن للأسف لم يحدث اللقاء في ذلك اليوم ، مما اضطر الأخ أن يسلم الأغراض التي بحوزته إلى أحد الاخوة الثقات وأخذ رقم الهاتف حتى يكلم الضيف في ذلك المساء ، وتم الاتفاق على رموز لاستخدامها أثناء الحديث عبر الهاتف ، وحصل الاتصال وتم الاتفاق على بعض الأمور ، ولكن بشكل غير مفصل ، وفي نفس اليوم توجه أحد الاخوة إلى نابلس حاملا رسالة إلى الشهيد يحي عياش ، نعلمه فيها عن مسئوليتنا عن خطف الجندي ، وتحمل نفس صيغة الرسالة التي وجهت للأخ محمد ضيف .

بقي ثلاثة من المجاهدين في البيت لحراسة الجندي ولم يخرجوا منه ، والأخ الرابع كان يزودهم بالأخبار ، ولم يكن يبيت معهم ، وكان يتصل يوميا مع محمد ضيف ، لمتابعة آخر التطورات ، وفي اليوم الثالث قام الاخوة في قطاع غزة بتصوير شريط فيديو يظهر فيه محمد ضيف وهو يحمل هوية الجندي وسلاحه ، ويعلن من خلال الشريط مسئولية الكتائب عن الخطف ، ويطلب بإطلاق سراح قائمة من الأسرى من مختلف الفصائل ، وقام بتخصيص بعض الأسماء ، وكان هذا بناء على اتفاقنا معه ، وفي اليوم التالي قام الاخوة ببث الشريط ، وكان في ذلك تضليل لقوات الاحتلال التي اعتقدت أن الجندي في قطاع غزة .

وفي مساء اليوم الخامس تم اعتقال الأخ الذي نقل الأغراض إلى قطاع غزة ، والذي يقوم بالاتصال مع محمد ضيف ، وكان سبق هذا الاعتقال اعتقالات واسعة في قطاع غزة على أيدي السلطة الفلسطينية وتم التحقيق مع عدد من الاخوة هناك لأخذ معلومات حول الجندي المخطوف ، وفي اليوم التالي تم اعتقال الأخ زكريا نجيب ،وهو خارج من البيت الذي يحتجز فيه الجندي ، ولم يكن لهذا الأخ علاقة بالخطف ، وإنما جهز البيت وكان يحضر الطعام .

واقتحمت قوات الاحتلال المنزل مساء اليوم السادس واستشهد المجاهدون الثلاثة ، صلاح جاد الله ، عبد الكريم بدر ، وحسن النتشة ، وقتل الجندي المخطوف

وقائد الوحدة الخاصة التابعة لرئاسة الأركان ، وجرح أحد عشر جنديا حسب اعتراف المسئولين الصهاينة .

●●● التقييـــــم

تعتبر هذه العملية من أروع العمليات العسكرية التي نفذتها كتائب القسام وافضلها على الإطلاق ، فلا تزال . وستبقى . صورة الجندي الصهيوني وهو يجلس ذليلا باكيا مستجديا وابن القسام يقف على رأسه عزيزا شامخا ماثلة في أذهان الصهاينة والفلسطينيين على حد سواء .

لكن عند التقييم مطلوب منا أن نتجاوز المظاهر والإعلام ، وننفذ إلى الأعماق نعيش العمل بأحداثه ومجرياته ، ونتسلل إلى دقائقه وخفاياه كي نتمكن عبر الملاحظة القوية والتحليل المنطقي أن نبرز نقاط القوة للمحافظة عليها ، ونقاط الخلل والضعف لتجاوزها وعدم تكرارها .

●●● من هنا فإن الدراسة التقييمية المنطقية لأي عملية تتطلب:

- نظرة فاحصة في الخطة التي يفترض أن تكون معدة مسبقا لمعرفة أكان التخطيط سليما أم لا ، ولتحديد درجة إحكام الخطة .
- نظرة في التنفيذ لمعرفة مدي دقته .
- ونظرة ثالثة للأهداف والنتائج .

لكن يؤسفنا القول أنه تعذر علينا تقييم أي عملية عبر هذه الطريقة ، فحتى الأن لم اقف على عملية عسكرية واحدة تم تنفيذها تبعا لخطة عسكرية دقيقة ومفصلة ، كما أشرنا إلى ذلك في فصل التخطيط ، وفي أحسن الأحوال لا يتعدى الأمر خطة مجملة .

وعليه فإننا نجد أنفسنا هنا مضطرين إلى تجاوز هذا الأسلوب في التقييم إلى التقييم عبر عرض ما أمكننا من نقاط القوة والضعف في العمليات ، وإن كان ذلك أقل نفعا ، ويحيد بنا عن المنهج السليم في التقييم .

وبناء على ذلك فإن تقييمنا لهذه العملية سيكون على النحو التالي :

• المخبأ

لا أرى في اتخاذ البيت مخبئا لإخفاء الجندي المختطف اختيارا أمثل ، وذلك لسببين :

١ . أن البيت سيكون عرضة للدمار ، وصاحبه سيزج في السجن ، وهذا ما حدث في هذه العمليةّ ، حيث حكم على صاحب المنزل بالسجن لمدة ١٣ عاما بالرغم من عدم علمه بالأمر .

٢ . إن البيوت لا تعد مكانا آمنا للستر ، فتحت أي ظرف يمكن تفتيشها ، وقد يكون ذلك محض صدفة ، كما أن الأمر لا يسلم من اشتباه الجيران بما يحدث في البيت والغرباء الذين يرتادون عليه ، فالناس في مجتمعنا فضوليون بفطرتهم ، وهم أسرع في نقل الخبر من قصاص الأثر .

من هنا فإن استخدام البيوت أماكن لإخفاء الرهائن يجب أن يكون الخيار الأخير ، والأفضل من ذلك بناء مخبأ سري تحت الأرض في مكان آمن ، أو استخدام المغارات السرية المنتشرة في بلادنا بكثرة ، على أن يتم انتقاؤها بدقة ، وبمواصفات خاصة كما كان الحال في عملية خطف الجندي نسيم طوليدانو ، ويجب أن لا يغيب عن حساباتنا إمكانية إخراج الرهينة خارج الوطن ، فليس ذلك بالأمر المستحيل لكنه يتطلب إعدادا وترتيبا دقيقا .

ومن الأمور التي على الخاطفين مراعاتها ، وأرى أن الاخوة في هذه العملية قد غفلوا بعض الشيء عنها :

١ . أن لا يزيد عدد حراس الرهينة عن اثنين .
٢ . وأن لا يعلم أحد غيرهم بالمكان الذي يحتجزون الرهينة فيه ، وان يتصلوا هم بغيرهم . عند الحاجة فقط . لا أن يتصل غيرهم بهم .
٣ . يجب أن يكون المخبأ مجهزا مسبقا بكل الاحتياجات ، بما في ذلك ما يكفي من طعام وشراب مدة الاحتجاز ، ولنا في أصحاب الكهف عبرة إذ لم يغب عن بالهم أن

من شان من يشتري الطعام وينقله لمخبئهم أن يكون سببا في كشف أمرهم ، لذلك جاء التشديد في توصيتهم ﴿ وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ﴾ .

• السيارة المستخدمة في العملية

نوع السيارة بلا شك كان مناسبا لكن كان من الخطأ استئجار السيارة من شركة إسرائيلية ، حيث أن شركات الاستئجار تسجل أسماء المستأجر ورقم بطاقته الشخصية ومكان سكنه ، ويشترط وجود ضامن ، ومن غير المستبعد أن تكون هذه الشركات تقوم بتقديم أسماء المستأجرين العرب للشاباك ، وقد تكون السيارة هي طرف الخيط في كشف الخاطفين .

• مكـــــان التنفيـــــذ

كان اختيار الاخوة لمكان التنفيذ مناسبا ، لكن ساعة التنفيذ كانت متقدمة قليلا . في ساعات المساء الأولى . حيث الشوارع تزدحم بالسيارة ، والظلام في بداية حلوله ، وكان يمكن للعراك الذي حدث داخل السيارة أن يلفت الانتباه لولا ستر الله .

طريق الذهاب القدس . القسطل كان اختيارا موفقا ، حيث يخلو هذا الطريق من الحواجز العسكرية ، أما طريق الإياب ، فلم يوفق الاخوة في اختياره وانبنى على مخاطرة كبيرة .

• طريق التنفيذ

استخدم في هذه العملية الأسلوب التقليدي في الخطف ، وهو ذات الأسلوب الذي استخدم في عمليات عديدة سابقة ولاحقة لم يكتب لها النجاح ، ورغم أنه قد نجح هذه المرة إلا انه أصبح من الضروري البحث عن أساليب جديدة ، وتجاوز هذا الأسلوب القديم الذي أصبح مكشوفا ولم يعد مجديا ، ولن يعجز أولو الألباب عن ابتكار أساليب جديدة أكثر نجاعة ونجاحا إن هم أمعنوا التفكير في الأمر .

وعودا إلى ذي بدء ، لنتحدث عن طريقة تثبيت الجندي التي استخدمت في هذه العملية ، فأيضا ذات الطريقة استخدمت في عمليات كثيرة وفشلت ، وفي بعض العمليات أدت إلى إصابات في صفوف المجاهدين ، ولأن نجحت هذه المرة فبفضل من الله أولا ، وثانيا لإصرار المجاهدين وقوتهم ورباطة جأشهم في مقابل ضعف الجندي الجسماني ، وأثر المفاجأة عليه ، فكان أن أوهت قوتهم قواه.

وهنا أشير إلى أمرين :.

●● وجوب الانتباه إلى عامل الزمن ، فالجندي قد يشك في الأمر في أي لحظة نتيجة لخطأ ما أو النباهة منه ، وهنا قد تحدث كارثة إن كان الجندي مسلحا وأخذ استعداده بشكل سريع .

●● ان استخدام المخدر في هذا النوع من العمليات أمر ضروري لا غنى عنه .

بقي هنا أن أشير إلى بعض النقاط التي برز من خلالها تفكير حكيم وسليم عند المجاهدين وساعدت في نجاح التنفيذ وهي :

- مبادرة السائق بسؤال الجندي عن وجهته كانت فكرة ذكية ، فلو كان العكس لاضطر السائق أن يخبر عن وجهة معينه قد لا توافق وجهة الجندي .
- اختيار نوع السيارة والمكان الذي حدد للجندي الجلوس فيه ، وكذلك عدد المجاهدين يتناسب مع نوع السيارة وحجم المهمة .
- إغلاق الأبواب من قبل السائق بواسطة نظام الإغلاق المركزي أمر هام ، إذ أن قفل الباب بشكل متعمد قد يثير شكوك الجندي .
- رفع صوت المذياع أيضا كان أمرا مهما ، ليفرض على الجميع الصمت ، ولكن يجب الانتباه إلى ان يتناسب ما يبثه المذياع مع الهيئة التي تنكر بها الخاطفون، فلا

يعقل أن يتنكروا بلباس المتدينين ويستمعوا إلى الموسيقى الصاخبة أم مغنين ينبذهم المتدينون ويحاربونهم .

●●● الاتصال التنظيمي

كان يجب أن يكون منسقا بصورة افضل مما كان عليه ، فلم يكن من داع للرسالة التي أرسلت للشهيد يحي عياش ، ولم يكن التردد على قطاع غزة بالتصرف الحكيم ، كما انطوى نقل الأغراض إلى هناك على مخاطرة كبيرة ، وهكذا اتسعت دائرة من يعرفون بالأمر كثيرا وبالتالي تم كشف المجموعة سريعا .

●●● التفـــاوض

وهو ليس بالأمر العفوي ، وإنما يحتاج إلى خطة دقيقة مفصلة ومحكمة واختصارا للموضوع أشير إلى ما يجب أخذه بعين الاعتبار عند إعداد خطة للتفاوض :

● لا بد للخاطفين من تحديد جهة أو لجنة معينة وتخويلها بالتفاوض مع الأعداء ، فلا يعقل أن يفكر الخصم بالتفاوض مع مجموعة مجهولة عبر البيانات ووسائل الإعلام ، على أن تكون هذه الجهة في مأمن خارج سلطة الأعداء كلبنان مثلا ، وقبل الإعلان عن هذه اللجنة يكون الخاطفون قد اجروا الترتيبات اللازمة معها ، بما في ذلك تحديد المطالب وطريقة الإفراج عن الرهائن والمحررين .

● تحديد طريقة جر الخصم إلى التفاوض ويمكن أن يكون ذلك :

- بالتهديد بقتل الرهينة خلال مدة معينة إن لم يتم التفاوض .
- طرح بادرة حسن نية مقابل بادرة حسن نية ، كتقديم معلومات عن الرهينة مقابل الإعلان عن الاستعداد للتفاوض والشروع فيه .
- استخدام أوراق ضاغطة على الخصم ، مثل عائلة الرهينة وذلك بالاتصال الدائم من الخارج بها وتقديم معلومات متضاربة عن ابنهم ، وعن معاناته حتى تبقى العائلة في توتر وقلق دائم كي تستمر في ضغطها وإلحاحها على حكومتها من أجل إنقاذ ابنها .. وكذلك الرهينة عبر توجيه نداءات استغاثة

إلى حكومته ، ويتم بث هذه الاستغاثات على فترات متفاوتة ، على ان تتضمن هذه النداءات استثارة عاطفة أبناء شعبه معه كي يطالبوا بإنقاذه بأي ثمن ، ومعاتبته حكومته لأنها لم تسارع حتى الآن من أجل تلبية مطالب الخاطفين وإنقاذ حياته .

- الترتيب لحملة إعلامية تستنفد فيها الحركة ما أمكنها من وسائل من أجل إبراز عدالة مطالب الخاطفين ، والوضع المأساوي واللاإنساني الذي يعيشه الأسرى ، كي تساند بذلك مطالب الخاطفين وتعادل حملة الخصم الإعلامية.
- يجب تجنب الأساليب والمواقف التي يظهر فيها تحد للخصم عبر وسائل الإعلام ، فإن من شأن ذلك أن يزيد في عناد الخصم ، ويجعله يفكر الف مرة قبل أن يقدم على خطوة يمكن أن تسجل عليه كخنوع أو خضوع .
- عند الإعلان عن عملية الخطف ، يفضل أن لا يتم في البداية طرح موضوع التفاوض ، وإنما القول أنه سيجري التحقيق معه ويحاكم ، كونه مجرم ينتمي إلى جيش إرهابي مسئول عن عشرات المذابح والمجازر ، وقد يحكم عليه بالإعدام ، وتترك القضية كذلك تتفاعل عبر الإعلام بضعة أيام ، وبعد ذلك يتم طرح الاستعداد للتفاوض إن كان الجانب الأخر حريصا على حياة جنديه وقدم ما يثبت ذلك .

●●● عملية الوفاء لشيخ الانتفاضة ●●●

في المسجد الأقصى المبارك كان العهد والوفاء واللقاء بيني وبين اخوة نظرت :

فلم أر مثلهم أبطال حرب غداة الحرب إذا خيف البوار

دماء الأقصى كانت باعث انطلاقتنا ، وساحات الأقصى كانت حاضرة لقاءاتنا ، وكان العهد ... عهد جهاد ، نصر أو استشهاد .

ومع اقتراب الذكرى الخامسة لانطلاق حركة المقاومة الإسلامية حماس ، راينا ان تتزامن أول عملية عسكرية لنا مع هذه الذكرى ، ولم نجد أفضل ولا اشرف من عملية وفاء للؤسس حماس وصاحب فضل الانطلاق ، الشيخ المجاهد احمد ياسين ، فعزمنا أمرنا وقررنا أن نقوم في هذه الذكرى باختطاف جندي صهيوني وطرح مبادلته بشيخنا الأسير ، ولم نكن نملك وقتها من الأسباب المادية شيئا ، لا مالا ولا سلاحا ، لكنا كنا نملك عزيمة وإصرارا وثقة وإيمانا .

وبدأنا نعد للأمر ما أمكننا من عدته ، مكانا لإخفاء الجندي ، وكان عبارة عن مكان واسع تحت الأرض ، فيه كل ما يلزم من صفات المخبأ ، يحتوي على حجرتين وعدة أنفاق ، في أرض فلاة خالية من السكان ، له مدخل صغير يستره حجر كبير ، يسهل التردد عليه دون ان يشعر بذلك أحد . وكذلك قمنا بشراء ملابس اليهود المتدينين للتنكر بها وحبالا وسكاكين ومسدس وهمي ، وسيارة من نوع سوبارو اشتريناها من مالنا الخاص ساعات قبل تنفيذ العملية ، وقبل أن نقوم بالتنفيذ كان لنا جولات عديدة جبنا خلالها البلاد طولها وعرضها ، وأصبح لدينا تصور عن حركة الشرطة والأماكن والساعات المناسبة للعمل ، وساعدنا في اكتساب هذه الخبرة أننا كنا قبل نقوم بعمليات حرق للممتلكات الصهيونية خاصة السيارات في أحيائهم وأمام بيوتهم .

وفي ليلة الأحد ١٣ / ١٢ / ١٩٩٢ خرجنا لتنفيذ العملية متوجهين نحو مدينة اللد ، حيث وقع اختيارنا لبعدها ومركزيتها ، فهي من جهة تبعد قليلا عن

القدس ، ومن جهة أخرى تقع في مركز البلاد ، الأمر الذي يجعل دائرة البحث مفتوحة .

وعندما وصلنا مدينة اللد ، تجولنا في شوارعها باحثين عن ضالتنا دون جدوى ، حتى كدنا نغادرها يائسين ، لكن الله لم يشأ أن يردنا خائبين ، وفجأة شاهدنا جنديا صهيونيا يخرج من منزله متوجها نحو الشارع العام وسط الضباب الكثيف في ليلة ماطرة يلفها الظلام ، فأوقفنا سيارتنا بين طابور السيارات التي تملأ طرفي الشارع وأطفأنا أنوارها وانتظرناه حتى يصل إلينا ، وعندما تجاوزنا ببضع خطوات انطلقنا بسيارتنا وصدمناه من الخلف ، وأوقعناه أرضا ، وفي لمحة عين كان داخل السيارة ، مقيد اليدين والرجلين معصوب العينين دون أن يدري ما يحدث له ، فلم ير السيارة التي صدمته ولم ير وجوهنا عندما حملناه إلى السيارة حيث كنا مقنعين ، وداخل السيارة قمنا بتفتيشه وأخذنا مسدسه ، وجعلناه تحت أقدامنا ليكون من الأسفلين وغطيناه بقطعة قماش ، وكانت وخزة واحدة بالسكين المدببة كافية أن تسكته كلما حاول أن يتكلم .

وهكذا أخذنا طريق العودة فرحين بما آتانا الله من فضله ، لا نكاد نصدق أن جنديا صهيونيا أصبح رهينة في أيدينا ، تكاد الأرض لا تسعنا من الفرحة ، فكل واحد منا له ذكريات مريرة مع جنود الاحتلال ، ولطالما نالنا من أذاهم الكثير ... الكثير ، واليوم جاءت ساعة شفاء الصدور ، وليكن بعدها ما يكون .

ومع آذان الفجر وصلنا المخبأ الذي أعددناه له ، وبالقرب منه أنزلناه وهو مقيد اليدين ، معصوب العينين ، وقدناه مشيا على الأقدام حتى أدخلنه المخبأ ، ودخلنا معه ، وهناك أجرينا له تفتيشا دقيقا ، ولم يتبق معه أي شيء ، وبعد انتهاء التفتيش أدخلناه إلى الحجرة الداخلية عبر نفق طويل مظلم ، وهناك قيدناه ، وأخبرناه أنه محتجز لعدة ساعات من أجل أن نطلق سراح أسير من السجن ، وسنطلق سراحه بعد ذلك ، وهناك أخذ يرجونا ويتوسل إلينا أن لا نقتله : « لا تقتلوني ... لا تطلقوا النار علي ... أنا جيد مع العرب !!!

أغلقنا المخبأ الأمن ، وخرجنا عائدين كل إلى بيته حتى لا يثير تغيب أحدنا أي شبهة ، وفي حوالي الثامنة صباحا توجهت إلى المكتب الصحفي . حيث

كان عملي. وقمت بإعداد بيان وطباعته وأرفقته بصورة لبطاقة هوية الجندي المختطف ووضعته في مغلف، وبعد دقائق حضر إلي مجاهدان من أعضاء المجموعة وأعطيتهما البيان ليسلماه إلى مكتب الصليب الأحمر في مدينة البيرة، وعلى اتم وجه نفذا المهمة، حيث دخلا مبنى الصليب الأحمر مقنعين وسلما المغلف وطلبا من الموظفة الاتصال بالشرطة الإسرائيلية وتسليمها البيان، وعادا إليّ ليخبراني بإنجاز المهمة، وكان لنا لقاء في ساعات العصر اتفقنا فيه على التفرق والالتقاء في منتصف الليل لاتخاذ القرار المناسب، بعد أن نتابع ردود فعل الحكومة الصهيونية على العملية وعلى مطالبنا، وكانت ردود فعل الحكومة الصهيونية لا تحمل اي بصيص أمل، وليس فيها سوى التهديد والوعيد وبدا لنا أنهم فقط يريدون كسب الوقت وليس لديهم أي نية في الاستجابة لمطالبنا، فكان قرارنا أن ننفذ تهديدنا ونقتل الجندي، ونلقي جثته ليكون لمن خلفه آية، وليعلموا أننا نعني ما نقول، فتوجهنا إلى المخبأ وتحدثنا مع الرهينة وطمأناه اننا سنطلق سراحه، وأن عليه أن ينفذ أوامرنا بحذافيرها، حتى تتم الإجراءات بشكل سليم، ومن الطريف أنه عندما ظن أنه ناج قال لنا : هل ستعيدون لي نقودي ؟ علما اننا لم نجد معه سوى عشرون شيكلا فقط ... إنه يهودي فلا عجب !!

أخرجناه من المخبأ معصوب العينين، وقدناه حتى وصلنا به إلى السيارة ، وهناك قمنا بخنقه ووضعناه في السيارة، وسرنا به باتجاه مدينة أريحا وكنا ننوي إلقاء جثته بالقرب من الحدود الأردنية، ولكن خشيتنا من نفاد الوقود دفعتنا أن نلقي بالجثة على جانب الشارع العام المؤدي إلى مدينة أريحا، وعند إلقاء الجثة تأكدنا من حدوث الوفاة حيث قمنا بطعنه عدة طعنات في رقبته .

كانت الساعة وقتها قد جاوزت الثانية بعد منتصف الليل، حيث عدنا إلى بيوتنا منهين هذه العملية دون أن نترك أي أثر يدل علينا، وجاء اعتقالنا وكشف علاقتنا بهذه العملية وبعمليات أخرى تبعتها بعد ستة أشهر نتيجة لاعترافات في التحقيق جاءت من قيادة الجهاز العسكري في منطقة الشمال، حيث كان لنا اتصال بهم .

●●● التقييم

خطوات تنفيذ هذه العملية بشكل عام كانت سليمة ، لكن الخلل كان في أننا لم نخطط جيدا لما بعد الخطف ، وهو في الحقيقة أصعب مما قبله ، وارتكبنا خطأ جسيما بقتل الجندي بهذه السرعة ، في حين كان بإمكاننا أن نبقيه فترة طويلة دون ان يعرف أحد بمكانه.

وما ذكرته حول التفاوض في العمليات السابقة كان يجب العمل به في هذه العملية أيضا ... إضافة إلى تصوير الرهينة بالفيديو كان أمرا ضروريا غفلنا عنه في هذه العملية ، لكننا تنبهنا إليه فيما بعد وفكرنا في استخدامه في عمليات لاحقة.

●●● طريقة الخطف

الطريقة التي استخدمناها في خطف هذا الجندي لا يمكن تعميمها ، فقد توفرت لها ظروف يصعب توفرها لعمليات أخرى ، فليس من السهل الاستفراد بجندي صهيوني في شارع لوحده وسط الظلام والضباب ، وتوقف حركة السير بشكل تام .

فكان الأسلوب مناسبا للظروف التي رأينا فيها الجندي ، ولكوننا لا نحمل أسلحة نارية . بقي هنا ان أشير إلى عملية الصدم بحاجة إلى دقة ، فيجب أن لا تكون قوية فتقتل الجندي وتلحق ضررا بالغا بالسيارة ، ولا خفيفة يمكن أن يقوم منها بشكل سريع ، ويستخدم سلاحه ، وإنما صدمة من شأنها ان توقعه أرضا وتفقده توازنه حتى تسهل السيطرة عليه ، ويقدر ذلك السائق بمهارته .

●●● الاتصال التنظيمي

كنا مجموعة منغلقة على نفسها ، وهذا الأمر كان يستحيل في ظله كشفنا ، لكن حاجتنا فيما بعد للسلاح جعلتنا نفتح اتصالا بالجهاز العسكري في منطقة الشمال ، ومن خلال هذا الاتصال جاءت علينا اعترافات وتم اعتقالنا.

●●● **تعقيب**

هذا اللون من العمل العسكري هام جدا للتأثير الإعلامي الذي يستحوذ عليه ، وللنتائج التي نحصل عليها في حال نجاحه ، لكنه بحاجة إلى إحكام في التخطيط ودقة في التنفي...

وكما أشرنا سابقا فإنه من الضروري استحداث أساليب جديدة في

الخطف غير هذه التي أعيد استخدامها ، ومن بين ذلك :

- **التنكر بلباس رجال الشرطة ، الجنود ، مستخدمي البلديات ، الهاتف ، الكهرباء ، الإحصاء ، الضرائب ... وبهذه الطريقة يمكن دخول البيوت ، خاصة المنزوية منها ، أو إيقاف سيارة ما في مكان وزمان معين ، ومن ثم خطف من بداخلها .**
- **مداهمة منزل ما ليلا ، بعد رصده وخطف رهينة من داخله ، وهذا ليس بالأمر المستحيل ، خاصة وأن كثيرا من بيوتهم لا يوجد لنوافذها حماية حديدية ، وتمتاز عائلاتهم بقلة عدد أفرادها ، وإذا كان أفراد عصابات السطو المسلح ينجحون في اقتحام البيوت وسلب أصحابها أموالهم ، تحت تهديد السلاح ، فلن يعجز مجاهدونا عن ذلك ، وهم أكثر جراة وارجح عقلا .**
- **تقمص دور سائق سيارة أجرة وخطف رهينة ممن يستقل السيارة طالبا نقله إلى مكان معين .**
- **الإحاطة بالرهينة في مكان خال وإجباره على الاستسلام تحت تهديد السلاح ، وقد استخدمنا هذا الأسلوب في محاولة لخطف كولونيل صهيوني عام ١٩٩٣ ، حيث كان متوقفا بسيارته بالقرب من إشارة ضوئية قريبا من مدينة الرملة ، وكانت الساعة وقتها الرابعة صباحا ، فأوقفنا سيارتنا بجوار سيارته وترجلت منها أنا والأخ المجاهد موسى عكاري ، بينما بقي الأخوان محمود عطون سائقا وماجد أبو قطيش في السيارة لحمي ظهورنا ، وكانت الخطة تقضي أن افتح عليه باب السيارة بسرعة ، وأفاجأه بضربة من كعب الرشاش على رأسه ، ثم نضع في يديه القيود ونخطفه هو وسيارته ، لكن لظرف طارئ لم تنجح**

الخطة ، حيث وجدته مغلقا باب السيارة على نفسه ، وعندما صوبت السلاح نحوه وأشرت إليه ليسلم نفسه أخذ يضحك ظانا أني أمازحه !! فقد كان مسئولا عن الحرس المدني الصهيوني ، وظن أني واحد من رجاله ، وعندما تبين له أن الأمر ما هو بالهزل ، صعق من هول المفاجأة ، وأخذ ينتفض داخل السيارة وهو يصرخ مستجديا : « بحياة دينك ... بحياة أبوك » أثناء ذلك تفاجئنا بسيارة شرطة تقف على الإشارة الضوئية قريبا منا ، تنتظر تغير الإشارة حتى تأخذ طريقها نحونا ، فلم يكن أمامنا من خيار سوى مغادرة المكان بشكل سريع ، فأطلقنا عليه النار وانسحبنا ظانين اننا قد قتلناه ، لكن تبين لنا فيما بعد انه لم يمت وإنما أصيب بجراح بالغة ، ست عيارات نارية في صدره .

ومن المفارقات أننا بعدما انسحبنا نظرنا وراءنا ، فرأينا سيارة الشرطة التي أفسدت علينا خطتنا قد أخذت طريقا معاكسا لنا ، ولم تشعر حتى بإطلاق النار الذي كان قريبا منها .

●●● المتفجرات

عندما نتحدث عن المتفجرات ، فإننا نتحدث عن أهم وأخطر سلاح من أسلحة حرب العصابات ، فهذا السلاح سهل التحضير شديد التأثير ، لكنه في ذات الوقت خطير ، إن لم يحسن استخدامه انقلب على صانعه ، ولا يغيب عن بالنا الثمن الكبير الذي دفعته الحركة عندما بدأت في استخدام هذا السلاح قبل أن
تلج سكة النجاح .

ويرتبط بدء استخدام السلاح باسم الشهيد المهندس يحي عياش ، الذي انطلق به انطلاقة نوعية ، فإليه يعود الفضل في فتح باب العمليات الاستشهادية ، التي كانت أولاها عملية المجاهد الشهيد ساهر تمام في محولة ، والتي استخدمت فيها سيارة مفخخة أعدها المهندس وتم تفجيرها بين حافلتين تقلان جنودا صهاينة ، وتوج المهندس إبداعه بالعمليات الانتقامية لشهداء مجزرة المسجد الإبراهيمي ، في العفولة والخضيرة ودزنغوف ، وبعد سلسلة من العمليات الجهادية والاستشهادية التي جعلت من اسم المهندس شبحا يطارد المحتلين حيثما ولوا وجوههم ، لقي المهندس ربه شهيدا بعد أن حفر اسمه في سجل الخالدين .

وجاء تلامذة المهندس النجباء ليتموا من بعده المشوار ، وتقدم المجاهد البطل حسن سلامة آخذا على عاتقه عهد الانتقام للمهندس الشهيد ، وهزت أصداء الانفجارات أركان دولة يهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب ، فلازموا بيوتهم وارتعدت أوصالهم ، وتداعت شياطين الإنس والجن من كل حدب وصوب واجتمعوا في شرم الشيخ لنصرة أوليائهم ، وتآمروا ومكروا مكرهم .

وتلميذ آخر من تلامذة المهندس جدير بنا أن نقف عند مدرسته وهو المهندس رقم ٢ الشهيد محي الدين الشريف ، الذي عمل في حياة المهندس عياش وتعلم منه وتعاون والمجاهد الأسير عبد الناصر عيسى في التحضر لعمليتين في رمات جان ورمات أشكول ، وواصل بعد اعتقال عبد الناصر مشواره ، وبدأ يعمل على تطوير هذا الفن منطلقا من مبدأ تقليل المخاطر وتكثير الخسائر ، ومن هذا المنطلق طور استخدام الهاتف النقال في التفجير للاستغناء عن الاستشهاديين ، وبدأ يرتب لإعداد سيارات مفخخة تعمل بهذه الطريقة ، لكن يد الخيانة لم تمهله طويلا فلحق بصاحبه المهندس الأول شهيدا رحمهما الله ، وخلف الأمة رجالا مثلهما من الخيار ، والحديث في هذا السياق يطول واكتفي في هذه العجالة بعرض عملية استشهادية واحدة لتقييمها واستخلاص العبر منها .

●●● عملية سوق محنيه يهودا في القدس ●●●

كما يرويها أحد أعضاء المجموعة المنفذة المجاهد الأسير عمار الزبن :

تعرفت على المجاهد خليل الشريف عندما قدم إلى مدينة نابلس مطاردا ، حيث كان طالبا في جامعة بيرزيت ، وبعد استشهاد المهندس يحي عياش شارك بتنفيذ عمليتين عسكريتين ، الأولى قرب البيرة وقتلت فيها مستوطنة وأصيب صديقها بجراح خطيرة ، وأثناء الانسحاب انقلبت السيارة التي كان يستقلها الأخ أمجد الحناوي الذي اعتقلته السلطة فيما بعد ، وبقي في السيارة دفتر الجامعة الخاص بالشهيد خليل الشريف ، مما أدى إلى كشفه ، وبعد أن أصبح خليل الشريف مطاردا تمكن من تشكيل مجموعة عسكرية بعد تعرفه على المجاهد محمود أبو هنود ورفاقه الأربعة الذين كانوا مطاردين في جبال عصيرة الشمالية ، كنت في تلك الفترة. عندما تعرفت على المجاهد خليل الشريف وانتميت إلى مجموعته. أعمل شرطيا في السلطة وساعدنا ذلك كثيرا ، وخلال تلك الفترة نفذنا عدة عمليات جهادية ، وفي شهر حزيران ١٩٩٧ تعرف المجاهد خليل الشريف بطرقه الخاصة على المجاهد معاذ سعيد بلال من مدينة نابلس ، وكان يقود مجموعة عسكرية تمتلك معملا لتصنيع المتفجرات المعروفة باسم أم العبد ، ولديهم منها كميات كبيرة ، ومن هنا بدأت تتبلور لدينا فكرة تنفيذ سلسلة من العمليات الجهادية نصرة لقضية الأسرى ، وبرغبة جامحة من الاخوة مطاردي عصيرة لتنفيذ عمليات استشهادية ، بدأنا الإعداد للتنفيذ وقمت بالتوجه إلى مدينة القدس لاستطلاع الطرق التي تؤدي إلى غربي المدينة ، وقد هداني الله إلى استئجار سيارة عمومية بحجة أنني باحث في مركز الدراسات والبحوث الفلسطينية ، وأجري بحثا عن المواقع في غربي القدس ، وبهذه الطريقة جاب بي السائق شوارع غربي القدس حتى تكونت لدي فكرة عامة عنها ، وفي اليوم التالي عدت واستأجرت نفس السائق لتحديد الأماكن بدقة ، وحددت سوق محنيه يهودا وشارع بن يهودا كمكانين لتنفيذ العمليات .

وأبلغ خليل قسم المتفجرات بتجهيز حقيبتين دبلوماسيتين ، بعد أن اتفق مع المجاهد محمود أبو هنود على تجهيز اثنين من الاستشهاديين ، وكان

المجاهدان، معاوية جرارعة وتوفيق صوالحة، وقمنا بإعداد خطة التنفيذ وتضمنت: الهيئة التي يجب أن يتنكرا بها، والطرق التي يجب أن يسلكاها ... في هذه الوقت تم استئجار شقة مفروشة في نابلس لمدة يومين تحت غطاء استقبال ضيوف فيها على اعتبار أن الأخ الذي استأجرها يعمل في شركة ما .

وقام الأخ خليل بإعطائي موعدا في مكان وزمان محددين للالتقاء بالأخوين الاستشهاديين، وكانت طريقة الالتقاء بهما أن أضع سيارتي وأفتح بابها وأغادر السيارة مدة عشرة دقائق، وبعد أن عدت وجدتهما داخل السيارة، وتعرفت عليهما عبر كلمة سر، ومن ثم نقلتهما إلى الشقة المفروشة المستأجرة، حيث كان الشهيد خليل بانتظارهما، وبعد ذلك اصطحبتهما معي إلى رفيديا، حيث جهزتهما بالملابس الدبلوماسية، وعدت بهما إلى الشقة وقمت والأخ خليل بشرح الخطة لهما، ثم غادرت المكان حيث كان مرتبا أن أستلم في الصباح الحقيبتين، بطريقة مشابهة للسابقة، وبعد أن استلمت الحقيبتين نقلتهما إلى الشقة، وعلى الفور غادرت متوجها إلى مدينة رام الله ومن ثم إلى القدس لاستطلاع الطريق، وعدت إلى رام الله واتصلت بالاخوة كي يبعثوا لي أحد الاستشهاديين، بعد أن تأكدنا من سلامة الطريق، فحضر الأخ معاوية واستقبلته في موقف سيارات نابلس، حيث قدم مستقلا سيارة أجرة لوحده، واتصلت بنابلس وأخبرتهم بحضور الأول وأن يبعثوا الأخر وبنفس الطريقة حضر الأخ توفيق .

وغادرنا ثلاثتنا رام الله بواسطة سيارة ركاب عمومية، قمنا باستئجارها إلى مدينة القدس عن طريق عناتا، ملتفين عن الحاجز العسكري المقام بالقرب من مفرق الرام، وعندما وصلنا قرب باب العمود، استأجرنا سيارة عمومية إسرائيلية يقودها سائق عربي، وأبلغناه أننا طلاب نأخذ دورة بالقرب من سوق محنيه يهودا، وعندما وصلنا قرب باب الخليل، قلت للأخوين حضروا أوراقكم، ففتحا الحقيبتين وأزالا الأمان وأغلقاهما، وعندما وصلنا سوق محنيه يهودا أشرت للأخوين بيدي وقلت لهما : هنا يأتي حسن ليأخذكما إلى الدورة، ففهما أنه السوق ونزلا من السيارة وعدت مع السائق إلى باب العمود، وتمت العملية بنجاح بفضل الله، وقتل فيها ١٦ صهيونيا وأصيب ١٧٠ بجروح مختلفة .

●●● التقييم

● وسائل النقل

نلاحظ ان الاخوة اعتمدوا في تنقلاتهم بشكل أساسي على سيارات الأجرة ، وهذا أمر لا نحبذه ، فلا يمكننا المخاطرة بالركوب مع سائق لا نعرفه ، حتى وإن فرضنا نقاءه وإخلاصه ووطنيته ، فإن الأمر لا يسلم من مفاجأة قد تحدث في الطريق ، وينبني عليها تصرف أحمق من قبل السائق الذي يجهل حقيقة من يقلهم ، وكان استئجار الاخوة للسيارة التي أقلتهم إلى مكان التنفيذ ، أمر فيه كثير من المخاطرة خاصرة في طريق عودة الأخ عمار ، بعد أن يسمع السائق صوت الانفجار .

● مكان التنفيذ

كان الاختيار مناسبا من ناحيتين :

- كون هذا السوق يعتر وكرا للمتطرفين الصهاينة ، حتى أن خطابات الهالك كهانا كانت تبث فيه باستمرار عبر مكبرات الصوت .
- ولكونه مكانا ضيقا ومزدحما بالباعة والمشترين طيلة ساعات النهار ، الأمر الذي يساعد في نجاح هذا النوع من العمليات .

لكن الاخوة على ما يبدو لم ينتبهوا إلى قضية هامة وهي أن حجم الإصابات تتحدد بشكل أساسي تبعا لكون المكان مغلق أو مفتوح وحجم الازدحام وكمية ونوعية المواد المتفجرة المستخدمة في التنفيذ ،

وهكذا نجد أن الإصابات في هذه العملية تتناسب مع درجة توفر هذه العناصر ، أما العملية التي تلتها في بن يهودا فلم يراع الاخوة توفر هذه العناصر ، وبالتالي فإن النتائج كانت مخيبة للآمال .

• استطلاع المكان

يبدو أن الأخ الذي عاين المكان ، عاينه من بعد ، وبالتالي لم يستطع أن يضعه بشكل دقيق للمنفذين ، حيث كانت حركتهما غريبة وبدا عليهما الجهل بمداخل السوق حسب ما رواه شهود عيان عقب الحادث مباشرة ، وكان الأفضل لو أنه تم تصوير السوق بواسطة كاميرا فيديو ، فليس المخبر كالمعاين .

• هدف العملية

نجد ان هدف العملية المعلن المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين والأسرى ، لا يتناسب على الإطلاق مع هذا النوع من العمليات ، وهنا أشير إلى أنه من الأهمية بمكان اختيار النوع من العمليات الذي يتناسب مع الهدف ، واختيار الوقت المناسب للعمليات ، فالعمل العسكري هو ترجمة للسياسة ولا يمكن فصله عنها .

•• من اللمسات الإبداعية في هذه العملية

إخفاء هوية الاستشهاديين ، حتى ساد الاعتقاد لمدة طويلة أنهما قدما من الخارج ، وهذا الأمر كلف أجهزة أمن العدو الكثير من الجهد والوقت في سبيل تشخيص المنفذين .

●●● تعقيب

إضافة إلى المجالات التي عهدنا استخدام المتفجرات فيها ، فإن هناك مجالات أخرى لم يركز المجاهدون عليها رغم أهميتها ، منها :

- تفجير البنايات .
- تفجير القطارات .
- المنشآت الاقتصادية : محطات الكهرباء ، والنفط والغاز المصانع التي يمكن لانفجار صغيرا فيها أن يحدث دمارا كبيرا .
- تفخيخ السيارات ، وأقصد سيارات الأعداء بزرع قنابل فيها تنفجر عند فتح الباب أو تشغيل المحرك ، أو دوران الإطارات ، تماما كما فعل الصهاينة في رؤساء البلديات الفلسطينية ، ومما يسهل هذا الأمر ، كون سيارات ضباط الجيش تحمل لوحات مميزة « سوداء » ، وكذلك ضباط الشرطة « حمراء » .

والسيارات المميزة تعود لشخصيات هامة ، حتى ضباط المخابرات فإنهم يستقلون أنواعا خاصة من السيارات ويمكن التأكد منها بنظرة إلى داخلها ، حيث غالبا ما يوجد ضوء الطوارئ الأزرق .

- تفخيخ أبواب بنايات ومكاتب الشخصيات الهامة ، بربط قنبلة بالباب تنفجر عند فتحه .

والمجالات لمن يعمل عقله أكثر من ان تحصر .

الشهيد رائد الشرنوبي

وقبل ان أختم هذا الموضوع ، أقدم هذه الحكاية التي تبرز فضل الاستشهاديين قطعا لألسنة المشككين وتثبيتا لقلوب المؤمنين .

يقول المجاهد حسن سلامة الذي يروي الحكاية :

كنت مع المجاهد الشهيد رائد الشرنوبي في بيت ، ليلة قبل تنفيذه العملية الاستشهادية في القدس ، وكان من المقرر أن أودعه في تلك الليلة ليذهب إلى المكان الذي سينطلق منه لتنفيذ العملية ، فطلبت منه أن يخلد إلى النوم ليرتاح قليلا قبل سفره ، بينما أعد أنا الطعام ، ولما فرغت من طهي الطعام أيقظته حتى يشاركني في الأكل ، فلاحظت أنه قام شارد الذهن ، ثم لم يلبث أن أجهش بالبكاء ، فظننت أن الرجل غير نيته ، فحاولت أن أهدئ من روعه ، وقلت له : لم يحدث شيء بعد ، وما زال بإمكانك التراجع ، هيا نأكل الطعام وبعد ذلك نتحدث . فرد علي باستغراب : ماذا تقول ؟ !
لقد كنت قبل قليل في الجنة ، ولا أدري لماذا أنا حتى الآن هنا !!
ثم روى لي ما شاهده في منامه قائلا : ما أن خلدت إلى النوم حتى شاهدت السماء تفتح ، وينزل منه نور عظيم ، وأحاط بي هذا النور ورفعني إلى السماء ... إلى الجنة ... أرجو أن يكرمني الله في هذه العملية بحصد اكبر عدد ممكن من أرواح يهود .
وقد كان له ما تمنى ، صدق الله فصدقه الله .

● الكمائن

يعتمد هذا الأسلوب بشكل أساسي على مفاجأة الخصم ومباداته ، وبالتالي فإنه يحتاج إلى مهارة في الإعداد ، ودقة في الاختيار .

وكثيرة هي العلميات التي نفذتها كتائب الشهيد عز الدين القسام ويمكن أن تندرج تحت اسم هذا الباب ، ومن أروعها الكمين الذي نصبه الشهيدان عبد المنعم أبو حميد وعبد الرحمن حمدان والمجاهد علي العامودي قبل حوالي خمس سنوات لضابط المخابرات الصهيونية نوعم كوهين قريبا من منطقة بيتونيا رام الله ، حيث تم استدراج هذا الضابط إلى ذلك المكان المحكم ، وفتح عليه المجاهدون نيران أسلحتهم وهو داخل سيارته فأردوه قتيلا وأصابوا زميله بجروح خطيرة .

ومن العمليات المميزة التي برع بتنفيذها أبطال القسام في هذا المجال عمليات التجاوز ، ويعتبر الشهيد عماد عقل رحمه الله ورفاقه من أول وأبرز من أبدعوا فيها .

وقد اخترنا في هذا الباب أن نعرض عملية تجاوز قامت بها خلية صوريف لتوضيح هذا النوع من العمليات والتعقيب عليها ، يرويها لنا قائد المجموعة المجاهد الأسير عبد الرحمن غنيمات :

> نجحت خليتنا بتنفيذ عدة عمليات تجاوز في مناطق مختلفة منها عملية التجاوز عن سيارة عسكرية بالقرب من بلدة حلحول شمال مدينة الخليل ، والتي قتل فيها ضابط برتبة كولونيل ، وجندي مرافق له ، وذلك بتاريخ ١٦ / ١ / ١٩٩٦ انتقاما لاستشهاد المهندس يحي عياش ، وعملية أخرى نفذناها بنفس الأسلوب في منطقة بيت شيمش بالقرب من مستوطنة جيفن وقتل فيها اثنين من مستوطني كريات أربع القريبة من مدينة الخليل ، وكان ذلك في شهر تموز عام ١٩٩٦ ، أما العملية التي سأتحدث عنها بشيء من

التفصيل هنا ، فكانت في شهر تموز ١٩٩٧ في منطقة بيت شيمش بالقرب من مستوطنة تيرس ، وقد قتل في هذه العملية ثلاثة من مستوطني بيتار القريبة من مدينة بيت لحم .

فقد اجتمعت في ذلك اليوم بأفراد الخلية واتفقنا السفر إلى المناطق الداخلية مثل تل أبيب ، أسدود ، ريشون لتسيون بهدف البحث عن جندي صهيوني لخطفه ، ومبادلته بالأسرى ، وفي حال أننا لم نوفق في الخطف نقوم بتنفيذ عملية تجاوز في طريق العودة ، وقد قمنا بالاستعداد لذلك وأخذنا ما يلزم من معدات ، مسدسين ورشاش كلاشنكوف وقيود بلاستيكية وحبل ، وانطلقنا على بركة الله من وسط قرية صوريف حوالي الساعة الخامسة مساء مستقلين سيارة من نوع سوبارو موديل ٨٤ تحمل ترخيصا إسرائيليا ، وسرنا باتجاه تل أبيب للبحث عن هدفنا ، وقد جبنا مناطق تل أبيب ، أسدود ، ريشون لتسيون وغيرها من المناطق مدة ست ساعات ولم يكتب لنا التمكن من خطف جندي فقررنا تنفيذ عملية تجاوز ، وعندما اقتربنا من المفترق المؤدي إلى منطقة بيت شيمش ، انتظرنا بعض الوقت تربصا بهدف حتى نتابعه وننال منه ، وبالفعل لاحظنا سيارة صهيونية تدخل الطريق الذي نقصده وبها أربعة ركاب وتأكدنا أنهم
يهود ، حيث كانوا يرتدون قبعات صغيرة على رؤوسهم ، فتابعنا هذه السيارة مسافة ١ كيلومتر تقريبا وبسرعة كبيرة زادت عن ١٢٠ كم في الساعة وبالقرب من مستوطنة تيزس رأينا أن الوقت مناسبا للتنفيذ ، فتجاوز سائقنا المجاهد جمال الهور السيارة ، وقمت أنا والمجاهد رائد أبو حمدية بإمطار من في السيارة بوابل من الرصاص ، مستخدمين مسدسا ١٤ ورشاش كلاشنكوف ، وتم كل شيء بنجاح بفضل الله تعالى ، ووصالنا سيرنا باتجاه قاعدة الانطلاق صوريف قاطعين مسافة تقارب ٢٠ كم ، حتى بلغنا مأمننا وعلمنا عبر نشرات الأخبار أن ثلاثة مستوطنين قتلوا في هذه العملية أثناء عودتهم من رحلة الاستجمام .

• التعليق

ليس هناك الكثير الذي يمكن أن نضيفه حول هذا النوع من العمليات ، كونها عمليات خاطفة لا يستغرق تنفيذها بضع ثوان ، لكن نشير إلى جملة من التوجيهات يلزم أخذها بعين الاعتبار وهي :

- يجب أن تكون السيارة التي يستقلها المنفذون قوية وسريعة ، حتى تتمكن من تجاوز السيارة الأخرى ، ويفضل أن تكون السيارة المستخدمة مسروقة حتى يتم التخلص منها بعد العملية ، أو على الأقل أن تحمل لوحات تسجيل مزورة .
- يلزم أن تكون الأسلحة المستخدمة في التنفيذ أسلحة رشاشة لإطلاق أكبر كمية ممكنة من الرصاص ، وقطعتين على الأقل ، أما المسدسات فيتطلب استخدامها مهارة وقدرة فائقة على الإصابة ، وهذا يحتاج إلى تدريبات متقدمة .
- اختيار الوقت المناسب للتجاوز ، بحيث لا تكون هناك سيارات قريبة يمكن أن تلاحظ أو تلاحق الفاعلين .
- الانسحاب السريع من مكان العملية .
- يجب التأكد من هوية المستهدفين ، حتى لا يقع خطأ قاتل ، ويمكن للمجاهدين أن يتربصوا بالقرب من موقع عسكري ، حتى تخرج منه سيارة عسكرية ، ويفضل سيارات الضباط ، وهي عادة معروفة ، ويتم متابعتها حتى تحين الفرصة المناسبة للتجاوز والتنفيذ .

• الاشتباكات

تفوق العدو في السلاح والعدد والتدريب ، ووسائل الاتصال التي يمكنه من خلالها استدعاء التعزيزات بشكل سريع ، كل ذلك جعل المجاهدين يتجنبون الاشتباك المباشر مع العدو ، إلا في حال فرض عليهم ، ورغم أن هذا هو عين الصواب ، إلا أن علينا أن لا نلغي هذا الخيار من حساباتنا ، فإن هناك أنواعا من الاشتباكات قد تكون نتائجها لصالحنا ، وتأثيرها الإعلامي والنفسي كبير جدا .

ولنتصور البعد الإعلامي الذي يحققه هجوم مباغت لمجموعة من المجاهدين على معسكر صغير للجنود الصهاينة ، واحتلال هذا الموقع ، ورفع العلم عليه وتصوير ذلك بالفيديو كما يفعل مجاهدو حزب الله ، إن إمكانية نجاح هذا الأمر كبير جدا ، خاصة وان هناك كثير من المعسكرات الصغيرة من الخيام التي لا يتجاوز عدد الجنود الذين يبيتون ليلا عن العشرة وأحيانا أقل من ذلك ، وبإمكان مجموعة مسلحة واحدة أن تفاجئهم وتقضي عليهم او تأسرهم ، أو عدد منهم وتستولي على أسلحتهم ، وما حادثة معسكر جلعاد عنا ببعيد ، حيث تمكن اربعة مجاهدين من أم الفحم من التسلل إلى المعسكر وقتلوا ثلاثة منهم وغنموا أسلحتهم وانسحبوا سالمين إلى بيوتهم .

وأعود إلى ما بدأت الحديث حوله ، وهو أن الاشتباك بالسلاح مع جنود الاحتلال نادرا ما حدث إلا إذا فرض على المجاهدين .

واعرض هنا قصة من قصص الاشتباكات ، حدثت بين شابين من كتائب القسام ، ووحدات كبيرة من جنود الاحتلال ، تتجلى فيها البطولية القسامية في أبهى معانيها .

بطل هذه القصة هو المجاهد أمين الطل من الظاهرية ، الذي لم يجاوز حتى الأن التاسعة عشرة من عمره ، لكنه يمتلك من الجراة والإقدام ، ما لم يمتلكه جنرالات عظام ، ونترك هذا الشاب ليحدثنا قصته :

في أواخر عام ١٩٩٦ قام المجاهد الشهيد اياد البطاط ومعه بعض الاخوة بطعن حارس مستوطنة بالقرب من الظاهرية واستولوا على سلاحه بندقية M-16، وبعدها أصبح اياد البطاط مطاردا ، وبعد سنتين جمعتني الأقدار به ، وبدأنا نتدرب ونخطط لتنفيذ عمليات جهادية ، وبتاريخ ١٤ / ١١ / ١٩٩٨ خرجنا لتنفيذ عملية في منطقة مثلث السموع بين الظاهرية والخليل ، مستقلين درجات هوائية ، وكنت أحمل رشاش عوزي مع ٣ مخازن وقنبلة يدوية ، أما اياد فكان معه بندقية M-16 مع اربع مخازن ومسدس ١٤ وقنبلة يدوية ، وكانت الساعة وقتها الحادية عشرة ليلا ، حيث كمنا لسيارة ميتسوبيشي وأطلقنا عليها النار، وأصبنا ضابطين كانا بداخلها إصابة أحدهما خطيرة ، وانسحبنا من المكان إلى الظاهرية .

وبعد عدة أيام من العملية التقينا وقررنا تنفيذ عملية أخرى في نفس المكان ، وذلك في ليلة القدر ١٣ / ١ / ١٩٩٩ بعد شهرين من العملية الأولى .

خرجت لوحدي إلى مكان العملية على الدراجة الهوائية ، وكان بانتظاري هناك الشهيد اياد ، ووضعنا الدرجات في مكان قريب من المثلث ، ونزلنا وتفقدنا المكان ، وجلسنا في الأحراش على بعد سبعة أمتار من الشارع ، خلف شجرة صغيرة ، وفجأة خرجت ثلاث سيارات من المستوطنة المقابلة عتنائيل ، وعندما وصلت إلى المثلث مقابلنا توقف ونزل منها الجنود واتجهوا نحونا بسرعة ، حيث فوجئنا بذلك وبدأنا نطلق النار بشكل عشوائي ، حيث كان بحوزتي كلاشنكوف بمخزن واحد ومسدس وقنبلة يدوية وكان مع

اياد M-16 ومسدس وقنبلة يدوية وزجاجة حارقة وسكين ، وكنا ننوي مهاجمة سيارة عسكرية وقطع رأس أحد الجنود وأخذه ثم حرق السيارة بمن فيها ، استمررت بإطلاق النار من الرشاش حتى نفذت الذخيرة ، ثم نظرت حولي فإذا أخي اياد قد تمكن من الانسحاب ، وكان الرصاص من حولي كثيفا جدا ، فبقيت منحنيا خلف الشجرة ولم أصب ، وألقيت القنبلة اليدوية دون ان أسحب الأمان جيدا بسبب السرعة فلم تنفجر ، ولم يبق معي سوى مسدس ١٤ ، ومضى من الوقت ما يقارب ١٥ دقيقة دون أن أتمكن من الانسحاب ، حيث القنابل الضوئية والجنود يحاصرون المنطقة ، ويمشطون الأحراش بحثا عنا .

وجاءت ساعة النهاية واقترب مني حوالي سبعة جنود ، وعندما أوشكوا أن يروني ، قمت في وجههم فجأة وبدأت بإطلاق النار من المسدس حيث أطلقت أربع رصاصات على الأول وكان قائد الوحدات الخاصة في منطقة الخليل وأرديته قتيلا ثم أطلقت رصاصة أخرى أصبت بها جنديا ثانيا ، وكان الرصاص في أثناء ذلك يخترق جسدي ، فوقعت على الأرض وبقيت ٢٠ دقيقة ودمي ينزف ، وليس من جسدي شيء يتحرك سوى إصبع الشهادة .

وقد أصبت بثلاث رصاصات ، واحدة في صدري وأخرى في رجلي ، وثالثة في فخذي ، نقلت بعد ذلك إلى سيارة الإسعاف ومن ثم إلى مستشفى سوروكا فسجن عسقلان .

• تعقيب

يعتقد المجاهد أمين الطل أن سبب كشف مكان وجودهما يعود إلى احتمال وجود منظار ليلي في المستوطنة القريبة ، وتم رصد حركتهما من خلاله .

ولا أريد أن أعلق هنا على مجريات الحادثة ، لكن فقط أود أن اعرض قضية تتعلق بعملية الانسحاب ، التي يجب أن تكون منظمة لا عشوائية ، وهنا أود ان اشير إلى أنه عند مهاجمة موقع ما يفضل التقدم نحوه بشكل راس حربة ، وفي حال حدوث طارئ يلزم الانسحاب مع التغطية النارية .

و في حال كون المجاهدين خمسة أشخاص فأكثر ، أما إن كانوا أقل من ذلك فيتم الانسحاب والتقدم بنفس المبدأ ، وفي حالة كونهما اثنان كما في هذه العملية فيجب أن يكون أحدهما عن يمين الآخر ومتقدما عنه قليلا ، وينسحبا بنفس النظام السابق ، واعتقد لو أن الأخوين عملا بهذه الصورة لتمكنا من الانسحاب ، فقد نجح أحدهما بينما بقي الآخر .

بقي أن أنبه إلى أن الانسحاب بهذا الشكل يجب أن يكون سريعا جدا كي ينجح ، ولذلك يلزم التدريب عليه .

• الاغتيالات

لم يدخل مجاهدونا هذا الباب رغم أهميته ، وأعتقد أن السبب يعدو إلى عدم وجود توجيهات بهذا الخصوص ، وكون هذا النوع من العمل يتطلب جهدا استخباريا كبيرا ، وتخطيطا سليما ، وتنفيذا دقيقا ، وهذه العناصر يصعب توفرها في المجموعات العادية ، وبحاجة إلى وحدات خاصة ، من هنا يبرز أهمية تشكيل الوحدات الخاصة لتناط بها المهام الجسام .

❖❖❖ الخاتمة ❖❖❖

هذه الدراسة حول المقاومة تأتي في ظل ظروف سياسية صعبة وحرجة ، تتراجع فيها المقاومة ، وتتقدم فيها المساومة ، يضطهد فيها المجاهدون ويضيق عليهم ، ويفسح للخانعين ، ويرفع من شأن المستسلمين المتخاذلين الذين تواطئوا على الشعب مع جلاده ، فأجهضوا المقاومة بتسوية مقيتة ، لم ولن تحقق سوى مصالحهم الشخصية ، ومصالح المحتلين على حساب الشعب المضطهد المقهور والأرض المغتصبة ، واللاجئين المشردين.

لكن هذا الحال أبدا لن يدوم ، فما هي إلى فترة وتنتهي ، وستعود المقاومة بإذن الله من جديد نشيطة أكثر مما بدأت ، وسيذهب الزبد جفاء ، ويبقى ما ينفع الناس في الأرض .

فإن هذا الاحتلال الذي قام على أرضنا بالقوة والجبروت ، لا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالقوة والجبروت ، بالجهاد والمقاومة ، بالدماء والأشلاء ، بالانفجارات المتواصلة ، بالكمائن والاغتيالات والاشتباكات ، بالدم يملأ الآفاق .

هذه هي الطريقة الوحيدة التي تسترد بها الحقوق ، فلا تغتر بما تنادي به الصهيونية اليوم من شعارات السلام ، فإنما هي أفعى تبدل كل آونة إهابا .؟

كيف نفلح في استرداد حقنا بالتفاهم مع من يئس الرسل من إنفاذ الحق والأخلاق والقيم إلى نفوسهم ؟! مع من لا يؤتون الناس نقيرا ؟! مع من قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة ؟!

إن الحجارة لا تفتتها سوى المطارق ، وإن قسوتها تتطلب زيادة الطرقات ، لا التراخي والاستسلام .

وإزاء ذلك على أتباع الحق ان يعزموا أمرهم ويوحدوا صفهم ويحددوا منهجهم ، ويتكتلوا حول الحق ، فإما ينصرونه وإما يهلكون دونه ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيانا مرصوص ﴾ .

فلا مجال في ظل هذا الواقع الذي يرمينا فيه القريب والبعيد عن قوس واحدة لسياسات مترددة ومناهج متضاربة ، لا مجال أن تقترن بالمقاومة مسحة مسالمة ، علينا أن نتجاوز الماضي بأخطائه وعثراته ، ونتقدم للمستقبل نجاهد في سبيل الله على بصيرة ، ببناء متماسك وتخطيط سليم ، علينا أن نحيي روح الجهاد في نفوس أبناء الإسلام ونحرضهم على القتال في سبيل الله لنري يهود وأعوانهم منهم ما كانوا يحذرون .

إن الطريقة إلى الهدف الكبير طويلة ، فيها محطات يفرح بها المؤمنون وأخرى يمسهم القرح فيحزنون لكن العاقبة للمتقين .

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾

تم بحمد الله

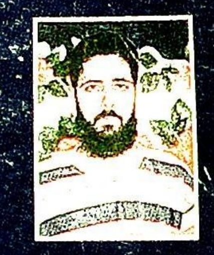
من منشورات

المركز الفلسطيني للاعلام

لمزيد من المعلومات طالعوا
موقعنا على شبكة الانترنت :

www.palestine-info.org
www.palestine-info.com
www.palestine-info.net





المعتقل المجاهد
محمود عيسى

- من مواليد العام ١٩٦٥م.
- من قرية عناتا الملاصقة لمدينة القدس.
- درس الشريعة في جامعة القدس/كلية الدعوة وأصول الدين وتخرج منها عشية انتفاضة ١٩٨٨.
- عمل مديرا لمكتب صحيفة "صوت الحق والحرية" في القدس.
- عرف محمود بشجاعته وجرأته وجسارته وفوق ذلك رجاحة عقله.
- اعتقل في حزيران ١٩٩٣ في كمين للقوات الخاصة الأسرائيلية على مدخل قريته.
- يقضي فترة محكوميته البالغة ثلاثة مؤبدات وعشرين عاما.
- يقبع حاليا في سجون الاحتلال منذ اكثر من ثماني سنوات.
- كتب هذه الدراسة من زنزانته وهو في قسم العزل الانفرادي في سجن بئر السبع.

من اشهر العمليات التي نفذها هو ومجموعته:

- عملية خطف وقتل الجندي الإسرائيلي نسيم طوليدانو في كانون اول ١٩٩٢ والتي على إثرها أبعدت اسرائيل ما ينوف على اربعمائة اسلامي الى مرج الزهور في جنوب لبنان.
- قتل شرطيين اسرائيليين في الخضيرة ربيع ١٩٩٣.
- محاولة قتل كولونيل اسرائيلي في الرملة.